

كيف تُقبِلُ القلوب

ولماذا تُدبِرُ؟

تأليف

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

تقديم

معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية

كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

تأليف

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

تقديم

معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية

الطبعة الأولى: ١٤٣٨ هـ

العدد: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعهد:

لقد حثت النصوص من القرآن الكريم والروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام على طلب العلم وتحصيله، ومن جملة تلك النصوص قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (العلق: ١ - ٥).

وهذه السورة على قول أكثر المفسرين أول ما نزل على النبي ﷺ، وتدلل بوضوح على أن أفضل النعم التي منحها الله للإنسان هي نعمة العلم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ (الزمر: ٩).

وفي هذه الآية استفهام استنكاري، استنكاراً للمساواة بين العالم وغير العالم.

وروي في كتاب المحاسن عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدم، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «اغدُ عالماً أو متعلماً، وإياك أن تكون لاهياً متلذذاً»^(١).

(١) المحاسن للبرقي ١: ٢٢٧ / ح ١٥٤.

٤ كيف تُقِيل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

وفي حديث آخر: «وإياك أن تكون من الثلاثة متلذذاً»^(١).

وفي أمالي الصدوق عن الأصمغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «تعلموا العلم، فإنَّ تعلّمه حسنة، ومدارسته تسييح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وهو عند الله لأهله قرابة، لأنّه معالج الحلال والحرام، وسالك بطالبه سبيل الجنة، وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يُقتدى بهم، تُرْمَق أعمالهم، وتُقتبس آثارهم، وترغب الملائكة في خلّتهم، يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم، لأنّ العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوّة الأبدان من الضعف، يُنزل الله حامله منازل الأبرار، ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة، بالعلم يُطاع الله ويُعبَد، وبالعلم يُعرَف الله ويُوحَد، وبالعلم تُوصَل الأرحام، وبه يُعرَف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل، والعقل تابعه، يلهمه الله السعداء، ويُجرمه الأشقياء»^(٢).

وكلّنا يعرف صعوبة طلب العلم بكلّ أصنافه في الأزمنة الماضية وما يتطلّبه من جهد ومال وتعب، لكن بالعلم ذاته أصبح طلب العلم متيسراً لكلّ إنسان وإن كان حبيساً في بيته، لأيّ علة أو سبب.

إنّ معهد تراث الأنبياء في النجف الأشرف هو من المشاريع الرائدة في هذا المجال، والتي صيَّرت الدراسة الحوزوية التمهيدية في متناول أيدي جميع الناس بمختلف شرائحهم، لكي يرتقوا بعد ذلك في سُلّم العلم، وليأخذوا حظاً وافراً من العلوم التي تُصيِّرهم بعد ذلك أهلاً للانخراط في الحوزات العلمية، أو أن يبقوا في مجتمعاتهم كشريحة

(١) المصدر السابق.

(٢) أمالي الصدوق: ٧١٣/ ح (١/٩٨٢).

مقدمة المعهد ٥

مثقفة متديّنة متفكّهة، تعرف أصول دينها وفروعه، كي يُورثوها لأجيالهم جيلاً بعد جيل، وليحسنوا تربيتهم وتقويمهم.

ومن الجدير بالذكر أنّ المعهد أنشئ قبل عدّة أشهر فقط، وقد تجاوز عدد الطلبة المسجّلين فيه (٨٥٠) طالباً من مختلف دول العالم من الصين وأمريكا وأوروبا وبلاد المغرب العربي وغيرها.

فالمعهد أُوجد من أجل تسهيل مهمّة طلب العلم، لمن لا يستطيع الوصول إلى مناهله ومرتعه: النجف الأشرف، ولا يعني هذا الاستغناء به تماماً، بل المعهد وما يبثّه من دروس ومحاضرات إنّما يُمثّل الخطوة الأولى في مجال طلب العلم، وعلى من أراد الاستمرار أن يسعى لأكثر من هذا.

إنّ من أولويات المعهد - بالإضافة إلى الدراسات الحوزوية الإلكترونية - هو نشر وطباعة البحوث والمؤلّفات العلمية لطلبة وأساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، لما في ذلك من خدمة عظيمة تُقدّمها لطالبي المعرفة في كلّ مكان.

ومن هذا المنطلق يسرّنا أن نُقدّم لكم باكورة أعمالنا، وهو كتاب (كيف تُقبل القلوب ولماذا تُدبر؟)، من تأليف سماحة الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي، فإنّه وبعد أن تمّ تسجيل هذا الكتاب في ثلاثين حلقة صوتية، وتمّ بثّها في القنوات المختلفة للمعهد، رأينا من المناسب أن يُنشر الكتاب ورقياً، مرفقاً معه قرصٌ مدمج بالحلقات الصوتية، ليتسنى لمن يُحبّ القراءة أو الاستماع ما يُحبّ.

راجين من المولى عزّ اسمه القبول، والأخذ بعين الرضا.

معهد تراث الأنبياء

للدراسات الحوزوية الإلكترونية

الإهداء

إلى من أقبلت القلوب - قلوب المحبين - إليها..
إلى من فطمت وفطمت شيعتها من النار..
إلى من فطم مبغضوها من حبها، فأدبرت قلوبهم عنها..
إلى المظلومة المهتزمة..
مكسورة الضلع..
محنية الظهر..
مولاتي الزهراء..
اقبلي عمل عبدك الرقّ..

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

كثيرة هي الآلات التي أودعها الله تعالى لدى الإنسان، وكثيرة هي أدوارها في الحياة، وهي على كثرتها وتنوعها لا تخلو من حالات متضادة تمرّ عليها، بحسب اختلاف الظروف الموضوعية والملابسات الآنية، فقد تقوى وقد تضعف، وقد تصحو وقد تمرض، وقد تلين وقد تقسو.

فظهرك المستقيم، مهما استقام، فإنّ القوس آتيك بلا ثمن. ونظرك الذي يقرب لك البعيد، لن يمهلك كثيراً حتّى يخفي عليك الواضحات.

وسمعتك الذي يميّز لك صوتاً من بين ألف صوت، لن تطول أيامه حتّى يشوش عليك أوضح الأصوات.

فأعضاؤك تبدأ من الضعف، وتقوى، ثمّ تقوى، إلى أن تصل إلى أوج قوتها، ثمّ تبدأ تهدم نفسها!

والمفارقة هنا، هي أنّه يمكن للإنسان أن يتنبأ - ولو في الجملة - بقوة تلك الأعضاء وزمن ضعفها، وقد يستطيع أن يرجع لها قوتها بعد ضعفها بعلاج ونحوه.

١٠ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

ولكن هناك عضواً لدى الإنسان، ما كان له أن يستقرَّ على حالٍ واحدة، فالتغيّر سمته الثابتة، والتقلّبات تعصف به باستمرار، بحيث يصعب التنبؤ بحالته له، وأصعب منها علاجه لو مرض.

إنّ ذلك العضو الذي شبّهته الروايات الشريفة بريشة معلقة في مهبّ الريح، تُحرّكها من جانب إلى آخر^(١).

إنّهُ يعيش حالات متضادّة كثيرة، فقد يكون أزهرًا، وقد يكون مظلمًا، وقد يكون مفتوحًا، وقد يكون مغلقًا، وقد يكون مستقيماً، وقد يكون منكوسًا، وقد يكون محلّ إيمان، وقد يكون جحر كفر ونفاق. إنّه القلب.

ومن أغرب الحالات المتضادّة التي تمرُّ به وأخطرها عليه، هي حالات الإقبال والإدبار!

قلبك، قد يُقبِل على شيء ما، فيُحبُّه حبًّا جمًّا، يُعميك عن معايبه، ويشغلك ذكرُّه عن ذكر غيره، ولكنّه قد يُدبر عن نفس ذلك الشيء، بسبب كلمة أو موقف أو ظرف ما، فيجعلك تكرهه كدم أسنانك، أو قاتل أبيك.

فما هي أسباب إدبار القلب؟

وكيف تجعل قلبك مقبلاً؟

كيف تكسب محبة الناس؟

وكيف تتجنّب ما يُنفرهم عنك؟

هذه الأوراق تُجيبك عن هذه الأسئلة وغيرها، بالاستعانة بنور

آيات الكتاب العزيز وعبق عطر أحاديث أهل بيت العصمة الطاهرين.

(١) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٣٩٧ / ح ٢٥٩٥.

مقدمة المؤلف..... ١١

كانت بداية هذه الأوراق ثلاث محاضرات أُلقيت في النجف الأشرف، كانت بعنوان: كيف تعرف منزلتك عند الله تعالى، وكيف تكسب محبته؟

ولكن عندما أردت تدوينها، وجدت أن هذا العنوان ينحلُّ إلى عناوين جانبية وفرعية كثيرة، فصار الموضوع أوسع ممَّا بدأ به وبدا عليه، ففتح ما بين يديك.

إنَّ في أحشاء هذا الكتاب مضامين عديدة:

كيف تعرف منزلتك عند الله تعالى؟

وما هي الطرق التي يمكن من خلالها كسب موادة الناس واقتناص

محبَّتهم؟

كيف تجعل من نفسك محبوباً لدى الناس؟

وكيف تتجنَّب منفرات القلوب؟

لماذا تعيش قلوبنا حالات الإدبار مع الله جلَّ وعلا؟

وكيف نجعل منها قلوباً مقبلة عليه تعالى؟

وغيرها من العناوين الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والسلوكية،

ممَّا نحتاجه في تعاملاتنا اليومية.

إنَّها الحياة، ذات المصاعب والمصائب، تحتاج إلى قلب مقبل على

الله تعالى، يُحبُّه الناس ويودُّونه، حتَّى تخف عليه وطأة الآلام، ويُزاح عنه

الرين والآثام.

كلماتٌ، استوحت فكرتها من جلاء صدى القلوب، فإنَّ القلوب

لتصدأ كما يصدأ الحديد، وإن جلاءها حديث أهل البيت عليهم السلام.

وقد أُتيح لهذه الكلمات أن تكون برنامجاً صوتياً يَبَثُّ عبر برامج

١٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

التواصل الاجتماعي، وبرعاية من معهد تراث الأنبياء للدراسة الحوزوية الإلكترونية.

وبعد أن تمَّ بثُّه، اقترح الأخ العزيز سماحة الشيخ حسين الترابي مدير المعهد أن نطبع الكتاب ونُرفِق معه قرصاً صوتياً مدججاً بالبرنامج، وهي فكرة جميلة كجمال قلبه، فشكر الله سعيه، وزاده علماً وفهماً. والشكر أولاً وآخرًا للربِّ العزَّة والجلال، ومنه أطلب التوفيق والقبول.

ورجائي من إخوتي أن لا ينسوني ووالديَّ من دعواتهم، وأن يمنّوا عليَّ بملاحظاتهم عبر معرفِّ برنامج (telegram) التالي: (@Husseinalasadi).

فإن تجد عيباً فسُدَّ الخلالاً فجلَّ من لا عيب فيه وعلا

حسين عبد الرضا الأسدي

النجف الأشرف

مساء الخميس (١٨ / محرم الحرام / ١٤٣٨ هـ)

(٢٠ / ١٠ / ٢٠١٦ م)

تمهيد

الدين والحب:

عندما نطالع الروايات الشريفة نجد أن هناك العديد من السبل التي توصل الإنسان إلى الدين والتدين، فالتقوى طريق، والإيمان آخر، والعمل الصالح ثالث، وحسن الخلق رابع، وهكذا...

ومن جملة تلك الطرق هو طريق الحب والمحبة والمودة، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «الإيمان حبٌّ وبغضٌ»^(١).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام - لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْحَبِّ وَالْبَغْضِ، أَمِنَ الْإِيْمَانُ هُوَ؟ - «وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟»^(٢).

وعنه عليه السلام: «هل الدين إلا الحب؟! إن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]»^(٣).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «الدين هو الحب، والحب هو الدين»^(٤).

بل نجد أن المحبة والمودة من أقوى الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فالمحبة تصنع عرى وثيقة للعلاقات الاجتماعية تتجاوز العلاقات النسبية والمصلحية والقبلية والقومية وغيرها، وهذا الوجدان والواقع شاهدان على ذلك.

(١) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: ٢٩٥.

(٢) المحاسن ١: ٢٦٢ / ح ٣٢٦.

(٣) الخصال للصدوق: ٢١ / ح ٧٤.

(٤) المحاسن ١: ٢٦٣ / ح ٣٢٧.

١٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

وما ذكرناه واضح ولا يحتاج إلى تكلفٍ عناء.
وحتى تتضح نظرة الدين الشمولية لعنصر المودة والحب، نتكلم
في عدة فصول...

* * *

الفصل الأول:

علامات صدق المودة

ينبغي لنا أن نلتفت إلى قضية مهمّة جدًّا، وهي:
أنّ المودّة والمحبة مركزها القلب والمشاعر، وبالتالي فهي غير
محسوسة بالحواس الظاهرة، بل هي أمر معنوي، نعم لها آثار عديدة
تظهر على سلوكيات الفرد.

من هنا، احتجنا إلى علامات محدّدة نستطيع من خلالها معرفة
الحبّ والمودّة الحقيقية من الأخرى الوهمية، سواء كان الحبّ والمودّة في
علاقتنا مع الله تعالى، أو مع بقية أفراد المجتمع.

علامات صدق المودّة والحبّ:

إنّ الروايات الشريفة والواقع يعطيان لنا عدّة طرق نستطيع من
خلالها أن نقيس مقدار حبنا الحقيقي أو الوهمي لأيّ مخلوق أو لأيّ شيء
كان، وكذا نعرف مقدار حبّ ذلك الموجود لنا، ومن تلك الطرق:

١ - شهادة القلب:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوا القلوب عن المودّات، فإنّها
شواهد لا تقبل الرشا»^(١).

بمعنى أن من يريد أن يعرف - مثلاً - مقدار حبّ الإمام المهدي
عليه السلام له، فله أن ينظر إلى قلبه ليرى كم يحبّ هو الإمام، وبنفس ذلك
المقدار من الحبّ يجد الإمام يحبّه.

ومن هنا قال الإمام الرضا عليه السلام للحسن بن جهم لما قال له:

(١) عيون الحكم والمواعظ للليثي: ٢٨٥.

١٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

جُعِلت فداك، أشتهي أن أعلم كيف أنا عندك؟ فقال له الإمام عليه السلام:
«أنظر كيف أنا عندك»^(١).

بل ورد أنه من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فليُنظر
كيف منزلة الله منه عند الذنوب^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من أراد أن يعرف كيف منزلته عند
الله، فليعرف كيف منزلة الله عنده، فإنَّ الله يُنزل العبد مثل ما يُنزل العبد
الله من نفسه»^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من أحبَّ أن يعلم كيف منزلته عند الله
فليُنظر كيف منزلة الله عنده، فإنَّ كلَّ من خيَّر له أمران: أمر الدنيا وأمر
الآخرة، فاختار أمر الآخرة على الدنيا فذلك الذي يُحبُّ الله، ومن اختار
أمر الدنيا فذلك الذي لا منزلة لله عنده»^(٤).

فشهادة القلب طريق لمعرفة المودَّة - إلهيَّة كانت أو اجتماعية -
وصدقها.

طبعاً هذا ربِّما يكون له علاقة بعالم الذرِّ، حيث أجابت بعض
الأرواح النداء الإلهي فأمنت، واستكبرت أُخرى. وحيث تألفت بعض
الأرواح وتنافرت أُخرى.

من هنا ورد أنه جاء رجل إلى عليٍّ وكلمه فقال في عرض الحديث:
إني أحبُّك، فقال له عليٌّ: «كذبت»، قال: لِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: «لأنِّي
لا أرى قلبي يحبُّك، قال النبيُّ ﷺ: إنَّ الأرواح كانت تلاقى في الهواء

(١) أمالي الصدوق: ٣١١ / ح (٨ / ٣٦٠).

(٢) تحف العقول: ١٠٧.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٦٨: ١٥٦ / ح ٧٤، عن عدَّة الداعي لابن فهد: ١٦٧.

(٤) بحار الأنوار ٦٧: ٢٥ / ح ٢٧.

الفصل الأوّل: علامات صدق المودّة ١٩

فتشام، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، فلمّا كان من أمر عليّ ما كان، كان ممّن خرج عليه^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا وإن لم يُظهِروا التودّد بألسنتهم كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الأنهار، وإنّ بُعد ائتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا وإن أظهروا التودّد بألسنتهم كبُعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على مذود واحد»^(٢).

٢ - كثرة ذكره:

يقول الرسول الأكرم ﷺ: «من أحبّ شيئاً أكثر ذكره»^(٣).

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «من أحبّ شيئاً لهج بذكره»^(٤).

وهذا أمر وجداني، فالعاشق يحاول أن يجد آية مناسبة ولو من بعيد ليبدأ بتلاوة كلمات الثناء وقصائد العشق في محبوبه! وإذا لم يجد مناسبة لذلك تصنّعها وبذل في سبيلها وقته وجهده.

من هنا، يمكن لنا أن نتلمس قوّة حبّنا لله تعالى من خلال كثرة ذكره خصوصاً إذا نام الناس وهدأت الأصوات وأطفئت الأنوار.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام - فيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه الليل نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه؟! ها أنا ذا يا بن عمران مطّلع على أحبّائي، إذا جنّهم

(١) بحار الأنوار ٢٥: ١٤ / ح ٢٧، عن بصائر الدرجات: ١٠٨ / ج ٢ / باب ١٥ / ح ٧.

(٢) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٣٥٢.

(٣) كنز العمال للمتّقى الهندي ١: ٤٢٥ / رقم ١٨٢٩.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٤٥٣.

٢٠ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

الليل حَوَّلَتْ أَبْصَارَهُمْ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَمَثَلَتْ عَقُوبَتِي بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ،
يَخَاطِبُونِي عَنِ الْمَشَاهِدَةِ، وَيُكَلِّمُونِي عَنِ الْحُضُورِ»^(١).

وكثرة ذكر الله تعالى كما تكشف عن حبك له، كذلك تورثك
اطمئناناً تعيش به في الحياة تشقُّ أمواجها وبلواها بقدم ثابتة. حسب قوله
تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

٣ - المواساة له في السراء والضراء:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أصدق الإخوان مودَّةً أفضلهم
لإخوانه في السراء والضراء مواساة»^(٢).

وهذا أمر وجداني واقعي أيضاً، فإذا لم ينفعني من يدعي محبتي عند شدتي،
فمتى سأرجو نفعه؟! فالمرء كثير بأخيه - كما يقول الإمام الصادق عليه السلام (٣) -،
وإذا لم يكن أخوك معك عندما تكون وحدك فأية أخوة هذه؟!
يقول الإمام علي عليه السلام: «في الضيق والشدة يظهر حسن المودَّة»^(٤).

من هنا، فرض الإسلام على المؤمن حقوقاً لإخوته المؤمنين ترتكز
على المواساة في الضيق والشدة، ففرض على المؤمن أن يقضي حاجة
أخيه المؤمن، وإذا استطاع أن يقضيها له من دون أن يسأله قضاء حاجته
وجب عليه ذلك من باب صدق الأخوة، يقول الإمام علي عليه السلام: «لا
يُكَلِّفُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ الطَّلِبَ إِذَا عَرَفَ حَاجَتَهُ»^(٥).

(١) أمالي الصدوق: ٤٣٨ / ح (١ / ٥٧٧).

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ١٢٢.

(٣) تحف العقول: ٣٦٨.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٣٥٤.

(٥) بحار الأنوار ٧١: ١٦٦ / ح ٢٩، عن كنز الفوائد للكراجكي: ٣٤.

وعن سعيد بن الحسن: قال أبو جعفر عليه السلام: «أيجئ أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟»، فقلت: ما أعرف ذلك فينا، فقال أبو جعفر عليه السلام: «فلا شيء إذا...»^(١).

من هنا ورد التحذير من عدم قضاء حاجة الأخ مع القدرة عليها، يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله تعالى»^(٢).

ولقد كان المسلمون يعيشون حالة من المواساة لا نظير لها، وإن لم تكن هي الحالة الوحيدة في الساحة، ولكن كانت المواساة صفة يمكن تلمسها في العديد من مواقف المسلمين المؤمنين. وكلنا سمع بالمسلمين الثلاثة الذين أصيبوا في واحدة من المعارك، فجاء أحدهم بماء لأحدهم فأرسله إلى الثاني ولم يشرب، وهكذا الثاني إلى الثالث، فأرجعه إلى الأول فوجده ميتاً، فقام إلى الثاني فوجدهم ماتوا كلهم^(٣).
وحقاً: (الجود بالنفس أقصى غاية الجود...).

وقد مدح القرآن الكريم الذين يواسون إخوانهم المؤمنين، فقال جلّ من قائل: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).
٤ - أن لا يرى من محبوبه إلا جميلاً:

فمن عشق شيئاً أعشى بصره وأمراض قلبه، فلا يرى في الوجود من يستحق الوجود إلا معشوقه! فهذا مجنون ليلٍ لما قال له أبوه: (فليت شعري، ما أراها ممن يوصف بالحسن والجمال، وقد بلغني أنّها

(١) الكافي للكليني ٢: ١٧٣ / باب حقّ المؤمن على أخيه وأداء حقّه / ح ١٣.

(٢) الكافي ٢: ٣٦٦ و ٣٦٧ / باب من استعان به أخوه فلم يعنه / ح ٤.

(٣) أنظر: المعجم الكبير للطبراني ٣: ٢٥٩ / ح ٣٣٤٢؛ كنز العمال ١٠: ٥٦٥ و ٥٦٦ / ح ٣٠٢٥٥.

٢٢ كيف تُقِيلِ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

فوهاء^(١)، قصيرة جاحظة العينين، شهلة^(٢)، سمجة، فعد عن ذكرها
ولك في قومك من هي خير لك منها. فلما سمع ثلثه فيها أنشأ يقول:
يقول لي الواشون ليلى قصيرة فليت ذراعاً عرض ليلى وطولها
وإن بعينها لعمرك شهلة فقلت كرام الطير شهل عيونها
وجاحظة فوهاء لا بأس إتها منى كبدي كل نفس وسوها
فدق صلاب الصخر رأسك سرمداً فإني إلى حين الممات خليلها^(٣)
ومن هنا روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حبك للشيء يُعمي
ويُصم»^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «عين المحب عمياء عن عيب
المحوب، وأذنه صماء عن قبح مساويه»^(٥). وفعلاً:
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تُبدي المساويا
إنك ترى في الحياة أناساً ليس لهم هم إلا إبراز المعاييب والمثالب،
ولا يرون إلا النصف الفارغ من الكأس، وإلا الجانب المظلم من
الأرض، فلا تقع أعينهم على شيء إلا أبرزوا فيه ما لا يُعدُّ من العيوب،
وإلا دققوا النظر ليروا أدق التفاصيل ليظهروا فيه عيباً ما، ويتناسون أن
في كل الأمور جوانب مشرقة مهما كان فيها من ظلام.
فمن الناس من لا ينظر إلى جودة المعلومة التي تُكتب، إنما ينظر إلى خطأ

(١) واسعة الفم قبيحه.

(٢) شهل العين أن يشوب سوادها زرقة، وهو من علامات القبح.

(٣) ديوان قيس بن الملوح: ٦٥.

(٤) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٤: ٣٨٠ / ح ٥٨١٤.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٣٤٠.

الفصل الأوّل: علامات صدق المودّة ٢٣

نحوي صدر منك غفلةً، أو رداءة الخطّ، أو عدم تلوين العنوان، وهكذا، وهناك من لا يتأمّل في تعبك وعنائك عندما أتممت بناء بيتك، وإنما يبحث عن خطأ فني في البناء، أو اختلاف قياس في السطوح، وهكذا.

في حين أنّ تربويات الدين ترسم لنا خطأ واضحاً في ضرورة النظر إلى جانبي الحياة، المظلم منها والمشرق، وأن نتغاضى عن المظلم ما أمكننا ذلك، وأن نهتمّ بالجوانب المشرقة، لما لها من أثر إيجابي في الحياة وتسهيل الأمور وعدم تعقيدها. وما أطف ما ورد من أنّ النبي عيسى عليه السلام مرّ مع الحواريين على جيفة، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب؟! فقال عيسى عليه السلام: «ما أشدّ بياض أسنانه!»^(١).

ولذا ترى أنّ المؤمنين لا يعترضون - ولو من طرف خفيّ - على قضاء الله تعالى الذي يجري عليهم مهما كان، فإنّهم آمنوا بأنّ الله تعالى - حيث إنّهُ لا عداوة شخصية له مع أحد، بل هو تعالى يحبّ عباده ويريد لهم الخير، وهو لا يفعل إلّا ما هو خير للعبد في عاجل الدنيا أو أجل الآخرة - مهما ابتلاهم فهو في صالحهم، وروّضوا أنفسهم على الرضا بقضاء الله تعالى، فلو مات للمؤمن ولد استرجع وحمد الله تعالى، ولو خسر مالا ارتاح من همّه ولم يهّمّ بأكثر من ذلك، وسواء كان الجوُّ بارداً أو حارّاً، وسواء كان العبد غنياً أو فقيراً، صحيحاً أو مريضاً، هو في حالة واحدة مع الله تعالى ولا يرى هذه الأحوال إلّا خيراً له، ولذا تراه مرتاح البال مطمئنّ الروح، وليس له همٌّ إلّا أن يُرضي الله تعالى.

ومن هنا، جاء التحذير من اليأس والاعتراض على طول غيبة الإمام المهدي عليه السلام، فإنّ طول الغيبة إن لم يكن بسببنا فهو لصالحنا. ولذا ورد في دعاء الغيبة: «اللَّهُمَّ فَتَبِّتْني عَلَى دِينِكَ، وَاسْتَعْمِلْني بِطَاعَتِكَ، وَكَلِّمْ قَلْبِي لِوَلِيِّ أَمْرِكَ،

(١) تنبيه الخواطر (مجموعة ورام) ١: ١٢٥.

٢٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

وَعَافِنِي مِمَّا امْتَحَنَتْ بِهِ خَلْقَكَ، وَبَثَّنِي عَلَى طَاعَةِ وَلِيِّ أَمْرِكَ، الَّذِي سَتَرْتَهُ عَن خَلْقِكَ، فَبِإِذْنِكَ غَابَ عَن بَرِّيَّتِكَ، وَأَمْرِكَ يَنْتَظِرُ، وَأَنْتَ الْعَالِمُ غَيْرُ الْمُعَلَّمِ بِالْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ أَمْرٍ وَلِيَّكَ فِي الْإِذْنِ لَهُ بِإِظْهَارِ أَمْرِهِ وَكَشْفِ سِرِّهِ، فَصَبَّرْنِي عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا أَحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، وَلَا أَكْشِفُ مَا سَتَرْتَ، وَلَا أَبْحَثُ عَمَّا كَتَمْتَ، وَلَا أَنْزِعَكَ فِي تَدْبِيرِكَ، وَلَا أَقُولُ: لِمَ؟ وَكَيْفَ؟ وَمَا بَالُ وَلِيِّ الْأَمْرِ لَا يَظْهَرُ وَقَدْ امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْجَوْرِ؟! وَأَفُوضُ أُمُورِي كُلَّهَا إِلَيْكَ»^(١).

وهذا هو ما جعل صبر السيدة زينب عليها السلام يعجز عن وصفه البلغاء، لَمَّا قَالَ ابن زياد لها: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ فقالت: «ما رأيت إلاَّ جهيلاً، هؤلاء قوم كُتِبَ عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجُّ وتُخاصم، فانظر لمن الفلج، هبلك أمك يا ابن مرجانة...»^(٢).

فعلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الرِّضَا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، لِيُثَبِّتَ حُبَّهُ لِدِينِهِ، وَحُبَّهُ لِرَبِّهِ، وَلَا يَكُونَ مِثْلَ ذَلِكَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ:

يَتَمَنَّي الْمَرْءُ فِي الصَّيْفِ الشِّتَا فَإِذَا جَاءَ الشِّتَا أَنْكَرَهُ
لَا بَذَا يَرْضَى وَلَا يَرْضَى بَذَا قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ

٥ - أَنْ يَبْذُلَ النَّصِيحَةَ لِمَنْ يَحِبُّ:

إِنَّ الْإِنْسَانَ حَيْثُ إِنَّهُ مَعْرَضٌ لِلخَطَا، وَحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَرَى أخطاءه دائماً، بل ربَّما يُخْطِئُ وهو يظنُّ أَنَّهُ يَحْسُنُ صِنْعاً، فَقَدْ احتاج كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى مِرَاةٍ صَافِيَةٍ تَحْكِي لَهُ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ بِصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ، وَالرَّوَايَاتُ

(١) مصباح المتهجِّد للطوسي: ٤١٢/ ح (١٤٦/٥٣٦).

(٢) مثير الأحزان لابن نفا: ٧١؛ بحار الأنوار ٤٥: ١١٥ و ١١٦ بتفاوت يسير.

الفصل الأوّل: علامات صدق المودّة ٢٥

الشريفة تؤكّد أنّ تلك المرأة الصافية ينبغي أن يُمثّلها المؤمن^(١)، هذا من جانب.

ومن جانب آخر، أنت إذا أحببت شخصاً لا بدّ أنّك تحبُّ أن تراه على خير دائماً، ولا تحبُّ أن ترى منه شيئاً خاطئاً، لأنّ ذلك يُقلّل من شأن المحبوب، وهو ما لا تحبُّه لمحجوبك، وهذا ما يؤسّس لمبدأ النصيحة، وهو ما تؤكّده الروايات الشريفة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن يحقُّ عليه نصيحته»^(٢). طبعاً هذا لا يخالف النقطة السابقة، من أنّك لا ترى من محجوبك إلّا جميلاً، لأنّ ذلك لا ينافي نصحه لو أخطأ، ونحن لا نريد من تلك النقطة أن يكون الإنسان مثالياً لا يرى واقع الخطأ من المحبوب، كلاً، وإنّما نريد أنّه يتجاوز عن الأخطاء التي تصدر من المحبوب باتجاه محبّوبه، ولكن في نفس الوقت، يجب على المحبوب أن ينظر بعين ثاقبة إلى تصرفات محبّوبه، ويحاول أن يجعلها لا تتجاوز الصحيح. ولذلك يقول الإمام عليّ عليه السلام: «ما أخلص المودّة من لم ينصح»^(٣).

ويقول عليه السلام: «محض أخاك النصيحة، حسنة كانت أو قبيحة»^(٤). وهذه النصيحة ستكون سبباً من أهمّ أسباب توارث المودّة والحبّ، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «النصح يُثمر المحبّة»^(٥).

من هنا جاءت التربويات والإرشادات المعصومية بضرورة استماع

(١) تحف العقول: ١٧٤.

(٢) كتاب المؤمن للحسين بن سعيد: ٤٢ / ح ٩٦.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٧٦.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٧٩.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٣٢.

٢٦ كيف تُقِيلُ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

النصيحة ولو كانت مؤذية ومؤلمة، فإنَّ الدواء قد يكون مُرّاً ولكن نتيجه الشفاء والعافية، فعن أبان، عن أبي العديس، عن صالح، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا صالح، اتَّبِعْ من يُبَكِّيك وهو لك ناصح، ولا تَتَّبِعْ من يُضَحِّكك وهو لك غاش، وستردون على الله جميعاً فتعلمون»^(١).

وينبغي أن لا ننسى أن للنصيحة آداباً لا بدَّ من الحفاظ عليها وعدم تجاوزها، وخلاصة تلك الآداب ما ذكره الإمام السَّجَّاد عليه السلام في رسالة الحقوق: «حقُّ المستنصح أن تُؤدِّي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به، وحقُّ الناصح أن تُلين له جناحك وتُصغي إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله تعالى، وإن لم يوافق رحمته، ولم تتَّهمه وعلمت أنه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقاً للثمة فلا تعباً بشيء من أمره على حال»^(٢).

٧ - أن يحبَّ محبوب حبيبه:

إنَّ صدق الحبِّ يعني فيما يعنيه أن يكون الشخص على علاقة وثيقة بمن يحبُّ، وأن يعمل على التقرب إلى محبوبه بأية وسيلة ممَّا يرضاه المحبوب، ولذا كان الحبُّ الخالي من الطاعة حباً كاذباً، يقول الشاعر:

تعصي الإله وأنت تُظهِر حبه
لو كان حبُّك صادقاً لأطعته
هذا لعمري في الفعال بديع
إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيع

إذن، من علامات صدق المودَّة أن تحبَّ مَنْ وما يحبُّه حبيبك، وهذا ما أكَّدته الروايات الشريفة، وهي عديدة في هذا المجال، نذكر منها:

عن رسول الله ﷺ: «إنَّ داود عليه السلام قال في ما يخاطب ربَّه تعالى: يا

(١) المحاسن ٢: ٦٠٣ و ٦٠٤ / ح ٣٢.

(٢) الخصال: ٥٧٠ / ح ١.

الفصل الأوّل: علامات صدق المودّة ٢٧

ربّ، أيّ عبادك أحبُّ إليك، أُحِبُّه بحبِّك؟ قال: يا داود، أحبُّ عبادي إليّ: نقيّ القلب، نقيّ الكفّين، لا يأتي إلى أحد سوءاً، ولا يمشي بالنميمة، تزول الجبال ولا يزول، وأحبّني، وأحبّ من يُحبّني، وحبّني إلى عبادي. قال: يا ربّ، إنَّك لتعلم أنّي أُحِبُّك، وأحبُّ من يُحِبُّك، فكيف أُحِبُّك إلى عبادك؟ قال: ذكّرهم بآياتي وبلائي ونعمائي^(١).

وعن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام إذ دخل المفضّل بن عمر، فلما بصّر به ضحك إليه، ثمّ قال: «إيّ يا مفضّل، فوربّي إيّ لأُحِبُّك وأُحِبُّ من يُحِبُّك. يا مفضّل، لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان...»^(٢).

وعن بشير الدهان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لمحمّد بن كثير الثقفي: «ما تقول في المفضّل بن عمر؟»، قال: ما عسيت أن أقول فيه؟ لو رأيت في عنقه صليلاً وفي وسطه كستيلاً لعلمت أنّه على الحقّ بعد ما سمعتك تقول فيه ما تقول. قال: «رحمه الله، لكن حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة أتياني فشتماه عندي، فقلت لهما: لا تفعلوا، فإيّ أهواه، فلم يقبلا، فسألتهما وأخبرتهما أنّ الكفّ عنه حاجتي، فلم يفعلوا، فلا غفر الله لهما، أمّا إيّ لو كرمت عليهما لكرم عليهما من يكرم عليّ، ولقد كان كثير عزّة في مودّته لها أصدق منهما في مودّتهما لي حيث يقول:

لقد علمت بالغيب أنّي أخونها إذا هو لم يكرم عليّ كريمها

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٦: ١١٩ / ح ٧٦٦٨.

(٢) الاختصاص للمفيد: ٢١٦.

٢٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

أما إني لو كرمت عليهما، لكرم من يكرم علي^(١)، وفي رواية أخرى أنه عليه السلام قال: «... أما والله لو أحبباني لأحببنا من أحب^(٢)».

لذا ورد في بعض أدعية تعقيبات الصلاة: «... واجعل عيني باكية لخشيتك، واجعلني أحبُّك وأحبُّ من يُحبُّك، واجعلني أسجد في مواطن صدق ترضيك عني، إنك على كل شيء قدير...»^(٣).

ومن هنا نجد روايات الفريقين ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكرم صديقات خديجة عليها السلام بعد وفاتها ويرسل إليهن بالهدايا حباً لها، وكان هذا سبباً كافياً ليُجعل بعض نساءه صلى الله عليه وآله تغار من خديجة وهي في قبرها.

فقد روي أن عجوزاً دخلت على النبي صلى الله عليه وآله فألطفها، فلما خرجت سألته عائشة فقال: «إنها كانت تأتينا في زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيوان»^(٤).

وعن عائشة، قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لَمَّا كنت أسمع يذكرها، ولقد أمره ربه صلى الله عليه وآله أن يُشهرها بيت من قصب في الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلالتها^(٥).

وعنها، قالت: ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وآله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) إلا على خديجة، وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦١٢ و٦١٣ / ح ٥٨٣.

(٢) الكافي ٨: ٣٧٣ و٣٧٤ / ح ٥٦١.

(٣) إقبال الأعمال لابن طاووس ٢: ٢٢٤.

(٤) بحار الأنوار ١٦: ٨؛ الاستيعاب لابن عبد البر ٤: ١٨١٥ / ح ٣٣٠٦.

(٥) صحيح مسلم ٧: ١٣٣ و١٣٤.

الفصل الأوّل: علامات صدق المودّة ٢٩.

الله عليه [وآله] وسلّم) إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»، قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة، فقال رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم): «إني قد رزقتُ حبّها»^(١).

وفي الصحيح عن عائشة: كان رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة»، فقالت: فذكرت له يوماً، فقال: «إني لأحبُّ حببيها»^(٢).

هذه بعض الطرق التي يمكن من خلالها معرفة المودّة ومقدارها!

* * *

(١) المصدر السابق.

(٢) الإصابة لابن حجر ٨: ١٠٣.

الفصل الثاني:

كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟

إنَّ قلوب الناس ملك لهم، ولا يمكنك أن تدخل إلى حرم قلوبهم
عنوة من دون مبرر وسبب واستئذان، تماماً كما لا يمكنك أن تدخل إلى
بيت أحدهم من دون إذنه، بل يجب عليك أن تطرق الباب بكل أدب،
فإن أذن لك وإلا رحلت.

وحيث إنَّ المودَّة مركزها القلب، فإذا أردت أن تملك قلب
أحدهم ومودته فلا بدَّ لك أن تدخل على قلبه، وتجلس على أريكة المودَّة
من عرش روجه، لتنال بذلك وده ومحبتة.

والسؤال المهم هنا: كيف يمكنني أن أدخل إلى قلبك؟ هل من
طرق وسبل يمكنني من خلالها فعل ذلك؟

والجواب: أن الدين يُعطي نظريته النفسية والاجتماعية لذلك، ويُبيِّن
الكثير من الطرق المناسبة لذلك، ويمكن أن نمهج تلك الطرق بالتالي:

أولاً: طرق بين العبد وربّه.

ثانياً: طرق وأعمال بين الإنسان والإنسان الآخر.

وهذه بدورها نوعان:

النوع الأوّل: طرق مجّانية!

النوع الثاني: طرق تحتاج إلى بذل ولو قليلاً.

ولنتكلم عن هذه الطرق على التوالي: ...

* * *

أولاً: طرق بين العبد وربّه

وقد ذكرت الروايات الشريفة العديد من هذه الطرق، وأهمّها:

أولاً: الإقبال بالقلب على الله ﷻ:

إنّ الله تعالى هو مالك القلوب، ولو أراد أن يميل بالقلوب لك فلا شيء يمكنه أن يمنعه، فهذا النبيّ موسى عليه السلام يقول له الله ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ (طه: ٣٩).

والروايات تُحدّثنا الأعاجيب عن هذه المحبّة الملقاة من الله تعالى على نبيّه موسى عليه السلام، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «... فلما وضعت أمّ موسى بموسى عليه السلام نظرت وحزنت واغتممت وبكت وقالت: يُذبح الساعة، فعطف الله قلب الموكّلة بها عليه، فقالت لأُمّ موسى: ما لك قد اصفرّ لونك؟ فقالت: أخاف أن يُذبح ولدي، فقالت: لا تخافي، وكان موسى لا يراه أحد إلاّ أحبه، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾، فأحبّته القبطية الموكّلة به...

وكان لفرعون قصر على شطّ النيل متنزّه، فنظر من قصره - ومعه آسية امرأته - إلى سواد في النيل ترفعه الأمواج وتضربه الرياح حتّى جاءت به على باب قصر فرعون، فأمر فرعون بأخذه، فأخذَ التابوت ورُفِعَ إليه، فلما فتحه وجد فيه صبيّاً، فقال: هذا إسرائيلي، فألقى الله في قلب فرعون لموسى محبّة شديدة وكذلك في قلب آسية. وأراد أن يقتله فقالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٣٥

أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ [القصص: ٩] أَنَّهُ مُوسَى، ولم يكن لفرعون ولد، فقال: التمسوا له ظئراً تُربّيه...»^(١).

ولا شك أن من أهمّ الموجبات لعطف الله تعالى القلوب عليك هو أن تعطف بقلبك على الله تعالى، كما يقول رسول الله ﷺ: «ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا جعل الله قلوب المؤمنين تفد إليه بالودِّ والرحمة، وكان الله إليه بكلِّ خير أسرع»^(٢).

ولا شك أن الإنسان يستطيع أن يجعل كلَّ وجوده مقبلاً على الله تعالى، ولا ينبغي لأحد أن يعتقد أن الإقبال على الله تعالى منحصر بالصلاة والصوم وبقية العبادات المعروفة، فليس التقرب إلى الله تعالى منحصرًا بذلك، ولذا ورد أن «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله تعالى»^(٣).

وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال في جلد رجل ونشاطه - لما قال أصحابه فيه: لو كان هذا في سبيل الله - : «إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان»^(٤).

ثانياً: الإقبال بالقلب على الله تعالى أثناء الصلاة:

هذه المرحلة متأخرة ترتيباً عن المرحلة الأولى، وكأنه إذا عجز الإنسان عن الإقبال على الله تعالى في جميع لحظات حياته، فلا أقل أن

(١) بحار الأنوار ١٣: ٢٥ و ٢٦ / ح ٢، عن تفسير القمي ٢: ١٣٦.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٥: ١٨٦.

(٣) الكافي ٥: ٨٨ / باب من كدَّ على عياله / ح ١.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ١٩: ١٢٩.

٣٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

يُقبِل عليه تعالى أثناء أهمّ العبادات الجارحية، الصلاة، فإنّها عمود الدين^(١)، والتي إن قبِلت قُبِل ما سواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها^(٢).

لقد ذكرت الروايات الشريفة العديد من الآثار التي تترتّب على الإقبال بالقلب على الصلاة^(٣)، منها: إنَّ ما يُقبَل منها على قدر ما يُقبَل العبد منها عليها، فعن رسول الله ﷺ: «إنَّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر، وإنَّ منها لما يُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوب الخلق فيُضَرَب بها وجه صاحبها، وإنَّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك»^(٤).

وعن الإمام زين العابدين ؑ - لَمَّا سقط رداؤه على أحد منكبيه ولم يُسوّه فسئل عن ذلك - : «ويحك أتدري بين يدي من كنت؟! إنَّ العبد لا يُقبَل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه»^(٥).

وعن الإمام عليّ ؑ: «لا يقوم من أحدكم في الصلاة متكاسلاً ولا ناعساً، ولا يُفكّرَن في نفسه، فإنَّه بين يدي ربّه ﷻ، وإنَّما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه»^(٦).

وعن الإمام الصادق ؑ: «من صلّى وأقبل على صلاته لم يُحدِّث نفسه ولم يسنّه فيها، أقبل الله عليه ما أقبل عليها، فربّما رفع نصفها وثلثها وربعها وخمسها، وإنَّما أمر بالسُنَّة^(٧) ليكمل ما ذهب من المكتوبة»^(٨).

(١) أنظر: دعائم الإسلام ١: ١٣٣.

(٢) بحار الأنوار ١٠: ٣٩٤.

(٣) أنظر: ميزان الحكمة للريشهري ٢: ١٦٣٧ / دور حضور القلب في قبول الصلاة.

(٤) بحار الأنوار ٨١: ٢٦٠ / ح ٥٩.

(٥) الخصال: ٥١٧ / ح ٤.

(٦) الخصال: ٦١٣ / حديث أربعائة.

(٧) أي النوافل.

(٨) المحاسن ١: ٢٩ / ح ١٤.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟ ٣٧

ومنها: إنَّ الإقبال عليها يوجب إقبال الله تعالى على العبد، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام العبد إلى الصلاة أقبل الله صلى الله عليه وآله عليه بوجهه، فلا يزال مقبلاً عليه حتّى يلتفت ثلاث مرّات، فإذا التفت ثلاث مرّات أعرض عنه»^(١).
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا قمت في صلاتك فأقبل على الله بوجهك يُقبل عليك»^(٢).

ومنها: إنَّ حضور القلب في الصلاة يوجب غفران الذنوب، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صلّى ركعتين ولم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمور الدنيا غفر الله له ذنوبه»^(٣).
وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيها، انصرف وليس بينه وبين الله ذنب»^(٤).

ومنها - ما هو محلُّ الشاهد هنا -: إنَّ الإقبال عليها يوجب جذب القلوب، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إني لأحبُّ للرجل منكم المؤمن إذا قام في صلاة فريضة أن يُقبل بقلبه إلى الله ولا يُشغل قلبه بأمر الدنيا، فليس من مؤمن يُقبل بقلبه في صلاته إلى الله إلا أقبل الله إليه بوجهه، وأقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبّة له بعد حبّ الله صلى الله عليه وآله إيّاه»^(٥).

ثالثاً: السجود بين الأذان والإقامة:

وهذه مرحلة متأخرة عن الأولتين، لا بمعنى عدم إمكان اجتماعها مع ما

(١) المحاسن ١: ٨٠ و٨١ / ح ٩.

(٢) بحار الأنوار ٨١: ٢٢١ / ح ٤، عن (الأربعون) للشهيد الأوّل: ٤٣ / ح ١٤.

(٣) بحار الأنوار ٨١: ٢٤٩ / ح ٤١، عن عوالي اللئالي للأحسائي ١: ٣٢٢ / ح ٥٩.

(٤) الكافي ٣: ٢٦٦ / باب فضل الصلاة / ح ١٢.

(٥) وسائل الشيعة للحرّ العاملي ٥: ٤٧٥ / ح (٦/٧١٠١)، عن ثواب الأعمال للصدوق: ١٣٥.

٣٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

قبلها، وإنما بمعنى 'أثما أقل مرتبة يمكن أن يتوجّه بها العبد إلى الله تعالى، وهي لا تأخذ أكثر من لحظة من تفكير الإنسان.

ولكن لماذا السجود؟

ولماذا بين الأذان والإقامة؟

أمّا لماذا السجود؟ فلأنّ الروايات الشريفة تذكر أنّ أقرب ما يكون العبد إلى ربّه إذا كان في سجوده، فعن الإمام الصادق عليه السلام - لَمَّا سَأَلَهُ سَعِيدُ بْنُ يَسَارٍ: أَدْعُو وَأَنَا رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ؟ - فَقَالَ: «نَعَمْ أَدْعُ وَأَنْتَ سَاجِدٌ، فَإِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، أَدْعُ اللَّهُ سَجَّكَ لَدُنْيَاكَ وَأَخْرَتَكَ»^(١).

وإذا ضممت إلى ذلك السجود على تربة الحسين عليه السلام كنت أقرب شيء إلى استجابة الدعاء، فإنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول: «السجود على تربة الحسين عليه السلام يخرق الحجب السابع»^(٢).

وأما أنّه لماذا بين الأذان والإقامة؟ فلأنّ الروايات الشريفة ذكرت أنّه من المواضع التي يُستجاب فيها الدعاء، فعن النبي ﷺ: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرد»^(٣).

ولذا ورد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول لأصحابه: من سجد بين الأذان والإقامة فقال في سجوده: ربّ لك سجدت خاضعاً خاشعاً ذليلاً، يقول الله تعالى: ملائكتي، وعزّي وجلالي لأجعلنّ محبّته في قلوب عبادي المؤمنين، وهيبته في قلوب المنافقين»^(٤).

(١) مستدرک الوسائل للنوري ٤: ٤٦٣.

(٢) الدعوات للراوندي: ١٨٨ / ح ٥١٩.

(٣) الدعوات: ٣٦ / ح ٨٧.

(٤) بحار الأنوار ٨١: ١٥٢ / ح ٤٨، عن فلاح السائل لابن طاووس: ١٥٢.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟ ٣٩

رابعاً: الاستعانة بالله تعالى:

وهذا الأمر يُمثّل الأساس للمراحل السابقة، فإنّ التقرّب إلى الله تعالى بالإقبال عليه في جميع لحظات الحياة أو أثناء الصلاة أو في السجود بين الأذان والإقامة كلّها مصاديق للاستعانة بالله تعالى، ولا شك أنّ أصل ذلك هو الدعاء، ولذا ورد في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللهم اقذف في قلوب عبادك محبّتي...، ولا تجعلني من الغافلين، أحببني وحبّبي، وحبّ إليّ ما تُحبُّ من القول والعمل حتّى أدخل فيه بلذة، وأخرج منه بنشاط»^(١).

وقد ورد أنّه كان في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «يا عليّ، إذا أردت مدينة أو قرية فقل حين تعينها: اللهم إني أسألك خيرها، وأعوذ بك من شرّها، اللهم حبّبنا إلى أهلها وحبّب صالح أهلها إلينا»^(٢).

* * *

(١) الصحيفة السجّادية (أبّطحي): ١٤٦ / من دعائه عليه السلام في طلب الرزق.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٤٤٣ و ٤٤٤ / ح (١٥٢١٤ / ١)، عن من لا يحضره الفقيه ٢:

٢٩٨ / ح ٢٥٠٩.

ثانياً: طرق وأعمال بين الإنسان والإنسان الآخر

النوع الأوّل: طرق مجانية:

الطريق الأوّل: الابتسامة:

قالوا: هي كالمالح في الطعام، لا بدّ من المحافظة عليها من دون إفراط ولا تفريط، فكما أنّ الملح إذا فُقدَ من الطعام فلا مذاق يبقى للطعام، وكما أنّ الملح إذا زاد في الطعام أفسد الطعام، كذلك الابتسامة فقداها يُفقد المودّة، وكثرتها مضرّة.

ولقد ثبت أنّ الضحك حتّى وإن كان مصطنعاً يرفع الروح المعنوية ويُحسّن الحالة المزاجية، مثلما هو الحال مع التدريبات البدنية، فالابتسامة تؤدّي إلى إفراز المهدّئات الداخلية (الأندورفينات) والتي تمنح الجسم إحساساً بالاسترخاء بمجرد الابتسام يؤدّي إلى إفراز مادّة السيروتونين، وهو ناقل عصبي يؤدّي للشعور بالسعادة في مجرى الدم، وهو مضادّ قويّ للاكتئاب.

وهل تعلم أنّ عدد العضلات في وجه الإنسان هو (٨٠) عضلة، وكلّ عضلة مرتبطة بجزء من المخ^(١)، وأنّ الناس تستخدم كلّ عضلات الوجه تقريباً عندما يكون الوجه عبوساً، ممّا يُسبّب لهم التجاعيد، وأنّنا عندما نبتسم فإنّنا نستخدم (١٤) عضلة فقط^(٢)؟

(١) قوّة التحكّم بالذات لإبراهيم الفقي: ٩١.

(٢) قوّة التحكّم بالذات: ٦٧.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟ ٤١

فما دامت الابتسامة لها هذا الأثر الطّبي المهمّ، وهي مجّانية بمعنى الكلمة، فلماذا ترانا تركناها؟! لقد نُشِرَ مقال بمجلّة (النجاح) الأمريكية تناول علاقة الأطفال بالابتسام، وذكر فيه أنّ الأطفال يتسمون ويضحكون حوالي (٤٠٠) مرّة في اليوم، وإذا ما قارناهم بالكبار نجد أنّ الكبار يتسمون (١٤) مرّة فقط في اليوم^(١)!

من هنا، وردت الأوامر التربوية عن أهل البيت عليهم السلام بضرورة كون المؤمن هسّاً بشّاً، وأن يكون بشره في وجهه، وإن كان عنده حزن فهو في قلبه!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «البشاشةُ حِبَالَةُ المودّةِ، وَالإِحْتِمَالُ قَبْرُ العيوبِ»^(٢).

فالابتسامة أسرع سهم تملك به القلوب، وهي مع ذلك عبادة وصدقة، ف «تبسمك في وجه أخيك صدقة»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من تبسم في وجه أخيه كانت له حسنة»^(٤).

الطريق الثاني: البدء بالسلام:

من الطبيعي جداً أنّك إذا لقيت أحاك بالبشاشة والابتسامة، فإنّه سيبدأ بالسلام عليك إن لم تسبقه أنت بالفضل وتبدأه السلام، فإنّ «البادي بالسلام أولى بالله وبرسوله» كما قال الإمام الصادق عليه السلام^(٥)، وهذا ما يقوّي أواصر المحبة بينكما.

(١) قوّة التحكّم بالذات: ٦٦.

(٢) نهج البلاغة: ٤٦٩ / ح ٦.

(٣) صحيح ابن حبان ٢: ٢٢١ / ح ٤٧٣.

(٤) الكافي ٢: ٢٠٦ / باب في إطفاء المؤمن وإكرامه / ح ١.

(٥) الكافي ٢: ٦٤٥ / باب التسليم / ح ٨.

٤٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

من هنا نجد أنّ من أهمّ علامات المؤمن أنّه لئن المنكب يُوسّع على أخيه والمنافق يتجافى يُضيق على أخيه، والمؤمن يبدأ بالسلام والمنافق يقول: حتّى يُبدأ بي^(١).

ولذا قال ﷺ: «أطوعكم الله الذي يبدأ صاحبه بالسلام»^(٢).

وفي مقام بيان أثر السلام في جذب القلوب والتحابب، يقول رسول الله الأعظم ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتّى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتّى تحابّوا، أو لا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلام بينكم»^(٣).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «السلام تحية للمتنا، وأمان لذمتنا»^(٤).

الطريق الثالث: المصافحة:

ومن الطبيعي أيضاً أنّك إذا ابتسمت في وجه أخيك وألقيت عليه السلام فإنّكما ستصافحان، وهنا تكمن طريقة أخرى من طرق تقوية الأواصر وكسب المحبة، فإنّ وضع اليد في اليد علامة صدق المودّة وعلامة التودّد وعدم الغدر...، وبالتالي سيحسّ المقابل بأنّه مقبل على من يُحبّه.

وعلي آية حال، نجد أنّ الروايات الشريفة تذكر عدّة آثار للمصافحة، وكلّها تصبّ في ما نبغي من كسب القلوب وريح مودّتها، منها: إذهاب الغلّ من القلوب فيما لو كان موجوداً بسبب فعل سابق أو

(١) كنز العتال ١: ١٥٦ / ح ٧٧٨.

(٢) كنز العتال ٩: ١١٦ / ح ٢٥٢٥٣.

(٣) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ٤١٨.

(٤) بحار الأنوار ٧٣: ١٢ / ح ٤٦.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟ ٤٣

كلمة أو موقف، ولذا قال رسول الله الأعظم ﷺ: «تصافحوا فإنّه يُذهب بالغلّ^(١)، تصافحوا فإنّ التصافح يُذهب السخيمة»^(٢)، أي الحقد والضغينة.

ومنها: غفران الذنوب، كما قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ المؤمن إذا صافح المؤمن تفرّقوا من غير ذنب»^(٣)، إذا صافح الرجل صاحبه فالذي يلزم التصافح أعظم أجراً من الذي يدع، ألا وإنّ الذنوب ليتحات فيما بينهم حتّى لا يبقى ذنب»^(٤).

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «إذا لقيتم إخوانكم فتصافحوا وأظهروا لهم البشاشة والبشر، تفرّقوا وما عليكم من الأوزار قد ذهب»^(٥).

ولهذا وذاك كان المسلمون إذا غزوا مع رسول الله ﷺ ومروا بمكان كثير الشجر ثمّ خرجوا إلى الفضاء نظر بعضهم إلى بعض فتصافحوا - كما نقل ذلك الإمامان الباقران عليهما السلام -^(٦).

عن أبي عبيدة، قال: كنت زميل أبي جعفر عليه السلام، وكنت أبدأ بالركوب، ثمّ يركب هو، فإذا استويينا سلّم وسأل مسألة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح، قال: وكان إذا نزل نزل قبلي، فإذا استويت أنا وهو على الأرض سلّم وسأل مسألة من لا عهد له بصاحبه، فقلت: يا ابن رسول الله، إنك لتفعل شيئاً ما يفعله أحد من قبلنا وإن فعل مرّة فكثير،

(١) عوالي اللئالي ١: ٢٩٤ / ح ١٨٢.

(٢) تحف العقول: ٥٥.

(٣) الخصال: ٢١ و ٢٢ / ح ٧٥.

(٤) الكافي ٢: ١٨١ / باب المصافحة / ح ١٣.

(٥) الخصال: ٦٣٣ / حديث أربعائة.

(٦) الكافي ٢: ١٨١ / باب المصافحة / ح ١٢.

٤٤ كيف تُقِيلِ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

فقال: أما علمت ما في المصافحة؟ إنَّ المؤمنين يلتقيان، فيصافح أحدهما صاحبه، فلا تزال الذنوب تتحاتُّ عنها كما يتحاتُّ الورق عن الشجر، والله ينظر إليهما حتَّى يفترقا»^(١).

ومع الأسف نجد أنَّ مبدأ التصافح قد قلَّ هذه الأيام بين المؤمنين، واكتفى جلَّهم برفع اليد من بعيد أو هزَّ الرأس - هذا لو ألقى السلام -!

الطريق الرابع: المعانقة:

لو تأسَّفنا على مبدأ المصافحة لأنَّه قلَّ بين المؤمنين، فإنَّ أسفنا على مبدأ المعانقة أشدَّ، لأنَّه قلَّ أكثر وأكثر بمرور الأيام، إلَّا نادراً بين المؤمنين!

وأعتقد أنَّ قلة التزام المؤمنين بهذا المبدأ له أكثر من سبب، ولعلَّ منها الثقافة المستوردة من الغرب، فإنَّك لا تجد المصافحة عندهم إلَّا نادراً، وأمَّا المعانقة فهي شيمة المتخلِّفين عندهم! وحيث إننا أبناء إلَّا تطوَّراً وثقافةً - تطوَّراً غريباً وثقافةً مستوردةً منهم -، فإننا ومن حيث لا نشعر تأثرنا بذلك!

أمَّا تراثنا الإسلامي الأصيل، فإنَّه احتوى على الكثير من التربويات الأدبية التي تحثُّ على هذا المبدأ، وسيكون عملاً مرتباً طبعاً يأتي بعد الابتسامة، فالسلام، فالمصافحة.

من هنا أكَّدت الروايات الشريفة على ضرورة المعانقة بين المؤمنين، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما

(١) الكافي ٢: ١٧٩ / باب المصافحة / ح ١.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٤٥

الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله، ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا، قيل لهما: مغفوراً لكما، فاستأنفا»^(١).

وعن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام: «أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومُحيت عنه سيئة، ورُفِعَت له درجة، وإذا طرق الباب فُتِحَت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه»^(٢).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا قيل لهما: مغفوراً لكما فاستأنفا، فإذا أقبلا على المسألة قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحوا عنها فإنَّ لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما».

قال إسحاق: فقلت: جُعلت فداك، فلا يُكْتَب عليهما لفظهما وقد قال الله عز وجل: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]؟
قال: فتنفَّس أبو عبد الله عليه السلام الصعداء ثم بكى حتَّى اخضلت دموعه لحيته، وقال: «يا إسحاق، إنَّ الله تبارك وتعالى إنَّما أمر الملائكة أن تعتزل عن المؤمنين إذا التقيا إجلالاً لهما وإنَّه وإن كانت الملائكة لا تكتب لفظهما ولا تعرف كلامهما فإنَّه يعرفه ويحفظه عليهما عالم السرِّ وأخفى»^(٣).

الطريق الخامس: الزيارة:

لا شكَّ أنَّ العلاقات الاجتماعية كالشجرة، تحتاج - حتَّى تأكل

(١) الكافي ٢: ١٨٤ / باب المعانقة / ح ٢.

(٢) الكافي ٢: ١٨٣ و ١٨٤ / باب المعانقة / ح ١.

(٣) الكافي ٢: ١٨٤ / باب المعانقة / ح ٢.

٤٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

من ثمراتها - إلى رعاية مستمرة، وأهم ما تحتاجه الشجرة هو السقي المستمر، وسقاية شجرة المودة والمحبة تكمن فيما تكمن في الزيارات المتبادلة والدورية خصوصاً في المناسبات.

فعن رسول الله ﷺ: «الزيارة تُنبت المودة»^(١).

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «لقاء الإخوان مغنم جسيم وإن قلوا»^(٢).

ولو لم يكن في زيارة الإخوان إلا نكاية إبليس، لكان هذا أعظم مغنم، حيث ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «ليس شيء أنكى لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات، ومن أعتق رقبة مؤمنة وقى كل عضو عضواً منه من النار حتى أن الفرّج يقي الفرّج»^(٤).

نعم، لا بدّ في الزيارة من أمور مهمّة - حتى تكتمل الصورة وتحصل على النتائج المرجوة من تثبيت المودة وزيادة المحبة -، وهي: أولاً: أن تكون الزيارة لله تعالى، لا لأجل مصلحة مؤقتة، فإن علاقة المصلحة تنتهي بانتهاء المصلحة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من زار أخاه لله لا لغيره التماس موعد الله وتنجز ما عند الله وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادونه: ألا طبت وطابت لك الجنة»^(٥).

(١) بحار الأنوار ٧١: ٣٥٥ / ح ٣٦.

(٢) الكافي ٢: ١٧٩ / باب زيارة الإخوان / ح ١٦.

(٣) الكافي ٢: ١٨٨ / باب تذاكر الإخوان / ح ٧.

(٤) الكافي ٢: ١٧٨ / باب زيارة الإخوان / ح ١٣.

(٥) الكافي ٢: ١٧٥ / باب زيارة الإخوان / ح ١.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٤٧

وعن رسول الله ﷺ: «من زار أخاه في بيته، قال الله ﷻ له: أنت ضيفي وزائري، عليّ قراك وقد أوجبت لك الجنة بحبّك إياه»^(١).

ثانياً: أن لا تكثر بحيث تولد الملالة، بل تكون بصورة دورية وبفترات مختلفة، كما روي عن رسول الله ﷺ: «زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حَبًّا»^(٢).

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «إغباب الزيارة أمان من الملالة»^(٣).

ثالثاً: عليك باختيار الأوقات المناسبة للزيارة، فلا تزر أحداً في وقت راحته أو نومه، ولا تزره في وقت طعامه من دون إشعار مسبق، والأفضل أن تتصل به أو تضرب معه موعداً مسبقاً للزيارة، حتّى يكون مهيناً لاستقبالك.

رابعاً: أن تجلس حيث يطلب منك صاحب البيت، فإنّه - كما في بعض الروايات الشريفة - أدريّ بعورة منزله منك.

عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، قال: «إذا دخل أحدكم على أخيه في رحله، فليقعده حيث يأمره صاحب الرحل، فإنّ صاحب الرحل أعرّف بعورة بيته من الداخل عليه»^(٤).

ولا شكّ أنّ طلبه منك الجلوس في مكان معيّن إمّا لأنّه يُحبُّك فيريد منك أن تجلس في مكان يُحبُّه لك، وإمّا لأنك مؤمن ولا تُحبُّ أن تقع عينك على ما لا يحلُّ لك، فهو يساعدك في ذلك.

خامساً: لا شكّ أنّ لكلّ بيت خصوصياته، ولا شكّ أنّنا لا نُحبُّ

(١) الكافي ٢: ١٧٧ / باب زيارة الإخوان / ح ٦.

(٢) بحار الأنوار ٧١: ٣٥٥ / ح ٣٦؛ مستدرک الحاكم ٣: ٣٤٧.

(٣) ميزان الحكمة ٢: ١١٩٣ / الرقم ١٦٧٣.

(٤) قرب الإسناد للحميري: ٦٩ / ح ٢٢٢.

٤٨ كيف تُقِيلِ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

من الآخر أن يتدخل في خصوصياتنا ما لم نطلب منه ذلك، فخذ هذا بعين الاعتبار ولا تتعداه أبداً^(١).

الطريق السادس: اللين واللباقة في الأقوال والأفعال:

أنت لا تعرف من أخيك إلا ما يظهر منه من أقوال وأفعال، ولعلَّ

(١) لتتيمم الفائدة نذكر آداب زيارة المريض نقلاً عن (تعليقة على العروة الوثقى للسيد

عليّ السيستاني ١: ٢٨١ و٢٨٢):

في استحباب عيادة المريض وآدابها:

عيادة المريض من المستحبات المؤكدة، وفي بعض الأخبار أن عيادته عيادة الله تعالى، فإنه حاضر عند المريض المؤمن، ولا تتأكد في وجع العين والضرس والدُمْل، وكذا من اشتد مرضه أو طال، ولا فرق بين أن تكون في الليل أو في النهار، بل يُستحب في الصباح والمساء، ولا يُشترط فيها الجلوس، بل ولا السؤال عن حاله. ولها آداب:

أحدها: أن يجلس عنده، ولكن لا يطيل الجلوس، إلا إذا كان المريض طالباً.

الثاني: أن يضع العائد إحدى يديه على الأخرى أو على جبهته حال الجلوس عند المريض.

الثالث: أن يضع يده على ذراع المريض عند الدعاء له أو مطلقاً.

الرابع: أن يدعو له بالشفاء، والأولى أن يقول: «اللهم اشفه بشفائك، وداوه بدوائك، وعافه من بلائك».

الخامس: أن يستصحب هدية له من فاكهة أو نحوها مما يفرحه ويربجه.

السادس: أن يقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين، أو أربعين مرة، أو سبع مرات، أو مرة واحدة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «لو قرأت الحمد على سبعين مرة ثم رُدَّت فيه الروح ما كان ذلك عجباً»، وفي الحديث: «ما قرئ الحمد على وجع سبعين مرة إلا سكن بإذن الله، وإن شئتم فجرّبوا ولا تشكّوا»، وقال الصادق عليه السلام: «من نالته علة فليقرأ في جيبه الحمد سبع مرات». وينبغي أن ينفذ لباسه بعد قراءة الحمد عليه.

السابع: أن لا يأكل عنده ما يضره ويشتهيه.

الثامن: أن لا يفعل عنده ما يغيظه أو يضيّق خلقه.

التاسع: أن يلتمس منه الدعاء، فإنه ممن يُستجاب دعاؤه، فعن الصادق صلوات الله عليه: «ثلاثة يُستجاب دعاؤهم: الحاجج، والغازي، والمريض».

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٤٩

أثر الأقوال أشدّ من أثر الأفعال، من هنا تجد في الإسلام منظومة متكاملة حول الأقوال إيجاباً وسلباً.

وفياً يتعلّق بتقوية آصرة المودّة والمحبة تجد أنّ هناك العديد من الأقوال ينبغي قولها، وأخرى ينبغي تجنبها، فمثلاً لين الكلام مع الأصدقاء مطلوب حتّى لا ينفّر منك أصدقاؤك، فإنهم إذا وجدوك ليئاً في أقوالك معهم فإنهم سيأمنون على أنفسهم وأعراضهم من ثورة ألفاظك. وينبغي قبول عذر الأخ لو اعتذر، فإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً.

ومثلاً ينبغي تجنب الجدال والمراء، فإن كثرة المراء سبب الشحناء، وتجنب الحسد فإنّه كما يأكل الحسنات يُحرق المودّات.

وباختصار إنّ مجاملة الناس ثلاث العقل - كما ورد في الرواية الشريفة -، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عوّد لسانك لين الكلام وبذل السلام، يكثر محبّوك ويقلّ مبغضوك»^(١).

وفي هذا المضمار جاء التأكيد على إعلان المودّة والمحبة، فإنّها من مقتضيات تقوية المحبة والمودّة، فقد روي أنّه مرّ رجل في المسجد وأبو جعفر عليه السلام جالس وأبو عبد الله عليه السلام، فقال له بعض جلسائه: والله إنّني لأحبُّ هذا الرجل، قال له أبو جعفر: «ألا فأعلمه، فإنّه أبقى للمودّة، وخير في الألفة»^(٢).

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إذا أحبَّ الرجل أخاه، فليُخبره أنّه يُحبه»^(٣).

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٣٤٠.

(٢) المحاسن ١: ٢٦٦ / ح ٣٤٧.

(٣) سنن أبي داود ٢: ٥٠٣ / ح ٥١٢٤.

٥٠ كيف تُقْبِلُ القلوب، ولماذا تُدْبِر؟

الطريق السابع: الزهد في ما في أيدي الناس:

لعلَّ أهمَّ ما يُقْلِقُ الناس هذه الأيام هو فقدانهم لما جمعوه من مال - ولو كان قليلاً -، وهذا القلق تشعب ليؤلِّد قلقاً من الأولاد أو اللصوص أو الخسائر المفاجئة أو التقلبات الاقتصادية العالمية التي تلقي بخسائرها الفادحة على جميع المتموِّلين، ومن ضمن من يُخاف منهم على المال هم المعارف والأصحاب والأصدقاء، حيث يخاف الواحد منَّا أن يستغلَّه أصحابه فيأخذوا من أمواله من حيث يعلم أو لا يعلم.

هذا بالإضافة إلى أن الكثير منَّا قد اكتشف - ولو بعد حين - أن عدَّة علاقات قد أقامها مع أناس ظنَّهم أصدقاء حقيقة كانت علاقات من أجل اكتساب مصلحة منه، وما أن تنتهي المصلحة حتَّى تنتهي تلك العلاقة، وبالتالي فقد امتدَّت جذور الشكِّ لتشمل أكثر من نقيم معهم علاقات، ظنَّنا منَّا أنَّهم إنَّما أقاموا معنا علاقة من أجل أن يستنزفوا منَّا ما نملكه، أو من أجل أن يقضوا منَّا مآربهم.

من أجل هذا وذاك، احتاج من يريد أن يدخل إلى قلوب الناس ويكتسب محبَّتهم أن يُعلِّمهم أنَّه إنَّما صادقهم لله تعالى، وأن يُثبِت ذلك عملياً، وأن يُظهر الزهد في ما يملكونه، وتكون أعماله مطابقة لما يدَّعيه من الزهد في هذا المجال.

والحقيقة أن المرء يحتاج إلى هذا النوع من الزهد لعدَّة أسباب،

منها:

السبب الأوَّل: ما تلوناه قبل قليل، حيث سيفهم الآخرون أنه إنَّما

يقيم معهم علاقة مبدئية لا تقوم على المصلحة، وبالتالي سيفتحون له قلوبهم ويُحكِّمونه فيها.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٥١

السبب الثاني: إنَّ المسلم ينبغي له أن لا يعتمد إلا على ما عند الله تعالى، فحيث إنَّه تعالى هو الرزاق الوحيد المستقل في هذا الكون، وحيث إنَّ كلَّ ما في الوجود هو ملك له تعالى، يؤتیه من يشاء ويمنعه من يشاء، إذن لا بدَّ للعاقل أن يختار افتقاره إلى الله تعالى، وأن يعمل من أجل أن يكتسب عن طريق الله تعالى لا غير. نعم، الناس أسباب لذلك الرزق، ولكن ينبغي أن يكون المطلوب منه أولاً وبالذات هو الباري تعالى، وهذا يستبطن الزهد ممَّا في أيدي الناس والتوجُّه لما عند الله تعالى، و«من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس»^(١)، ذلك لأنَّ «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا» (الحج: ٣٨).

السبب الثالث: إنَّ الرغبة فيما عند الناس تستدعي إمَّا الذلَّة - لو منوا عليك مستعلين بذلك عليك -، وإمَّا الحسد - لو لم تنل من أموالهم شيئاً -، وإمَّا الحسرة - فيما لو رأيت النعم تتوالى عليهم وأنت واقف على التلُّ تتابع -، وكلُّ ذلك ممَّا لا يحتاج إلى بيان كره الإنسان له. وعلاج ذلك كلُّه ما قاله تبارك وتعالى: «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ» (طه: ١٣١).

لكلِّ ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تحبَّب إلى الناس بالزهد في ما بين أيديهم، تفز بالمحبَّة منهم»^(٢).

الطريق الثامن: العمل بالحق:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عمل بالحق مال إليه الخلق»^(٣).

(١) نهج البلاغة: ٤٨٣ / ح ٨٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٢٠٠.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٦٠.

٥٢ كيف تُقبِلُ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

مهما اختلف الناس في تقييم بعضهم البعض، إلا أنهم لا يختلفون في استقامة العامل بالحق!

إنَّ العمل بالحق له مراتب، تبدأ بالتعامل مع النفس وفق الحق، فلا يُعطيها إلا ما هو موافق للحق، ويمنعها من كل ما هو مخالف له.

ثمَّ بالتعامل مع الأهل وفق مبدأ الأمر المعروف والنهي عن المنكر، وهاتان المرتبتان أشار لهما القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾﴾ (التحریم: ٦).

وتنتهي بالعمل بالحق مع بقية الناس على اختلاف مشاربهم، ف«لئن يهدي الله على يدك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت» كما قال ذلك الرسول الأكرم ﷺ للإمام عليّ عليه السلام حينما بعثه لليمن^(١).

طبعاً لا بد من ملاحظة أمر مهم للغاية في قضية التعامل بالحق، وهي: اللباقة في ذلك، أو كما قال القرآن الكريم: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (المؤمنون: ٩٦)، وعلى قاعدة «لا تحملنَّ عليه ما لا يطيقه فتكسره»^(٢)، وعلى مبدأ «لا تكن ظهراً فيركب ولا ضرعاً فيحلب»^(٣)، أو «لا تكن رطباً فتعصر، ولا يابساً فتكسر، ولا حلوا فتسترط، ولا مرّاً فتلفظ»^(٤).

(١) الكافي ٥: ٢٨ / باب وصية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا / ح ٤.

(٢) الخصال: ٤٤٨ / ح ٤٩.

(٣) أنظر: نهج البلاغة: ٤٦٩ / ح ١ بتصرف.

(٤) زهر الآداب للقيرواني ٤: ١٠٥٥.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٥٣

وهذا يحتاج إلى ذكاء حادٍّ، ورأي نافذ، للتعرف على ظروف التعامل المناسبة، فربَّ موقف يفرض عليك أن تقف موقفاً حاداً جاداً لا ليونة فيه، وفق مبدأ «أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة»^(١)، وربَّ موقف آخر يُحتم عليك الليونة وترك الحشونة، على مبدأ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ (التوبة: ٦).

وهذه حياة أهل البيت عليهم السلام بين يديك، تجد فيها الدستور الكامل للهداية إلى الظروف المناسبة لأنواع التعامل، فبينما يُحرق أمير المؤمنين عليه السلام من قالوا بألوهيته^(٢)! يعفو عن خارجي كفره وجهاً لوجه وبحضرة أصحابه^(٣)!

إنَّ التعامل بالحقِّ يُمثِّل منظومة متكاملة في تربيوات الإسلام، لذا ينبغي أخذه بعين الاعتبار. وتتبع حياة الرسول الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام وكلماتهم كفيلة برسم الصورة الواضحة لتلك المنظومة.

(١) الكافي ٥: ٥٩ / باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / ح ١٠.

(٢) فقد روي أنه جاء أناس إلى علي بن أبي طالب من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أنت هو. قال: «من أنا؟»، قالوا: أنت هو، قال: «ويلكم من أنا؟»، قالوا: أنت ربنا، أنت ربنا. قال: «ارجعوا»، فأبوا، فضرب أعناقهم، ثم خدَّ لهم في الأرض، ثم قال: «يا قنبر، اتنني بحزم الحطب»، فأحرقهم بالنار، ثم قال: «لما رأيت الأمر أمراً منكراً* أوقدت ناري ودعوت قنبراً». (تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢: ٤٧٦).

(٣) فقد روي أنه عليه السلام كان جالساً في أصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام: «إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحٌ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ هَبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلْمَسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّهَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامِرَاتُهُ»، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: «رُوِيَ إِتْمَا هُوَ سَبَّ بِسَبِّ، أَوْ عَفُوٌّ عَن ذَنْبٍ». (نهج البلاغة: ٥٥٠ / ح ٤٢٠).

٥٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

الطريق التاسع: دعوة الناس بأحبّ الأسماء إليهم:

لا شكَّ أنَّ أشهر ما يدلُّ على الإنسان هو اسمه، ولا شكَّ أنَّ كلَّ واحدٍ منَّا يُحِبُّ اسمه، ويُحِبُّ منه دلالته عليه، وبالتالي يُحِبُّ أن يناديه الناس به.

ثمَّ إنَّه قد جرت العادة على أن يكون للإنسان أكثر من اسم^(١)، فهناك اسم، وكنية، ولقب، وكلُّها تدلُّ على الشخص والشخصية، ولا شكَّ أنَّ هذه الأسماء ليست على مستوى واحد من القرب إلى قلب المسمَّى بها، وأنَّ الناس يختلفون في تفضيل بعضها على البعض الآخر، فهناك من يُحِبُّ كنيته أكثر، وهناك من يُحِبُّ لقبه أكثر، وهناك من يُحِبُّ اسمه أكثر، وأنت حتَّى تنجح في علاقتك مع الناس ينبغي عليك أن تبحث عن أكثر ما يُحِبُّون أن تناديهم به، فتناديهم به!

يقول الرسول الأكرم ﷺ: «ثلاث يصفين لك ودَّ أخيك: تُسَلِّم عليه إذا لقيتَه، وتوسَّع له في المجلس، وتدعوه بأحبِّ أسمائه إليه»^(٢).

لذلك تجد في الإسلام حرصاً شديداً على قضيَّة التسمية بالأسماء الجميلة اللطيفة، واعتبرتها بعض الأحاديث من أوَّل الواجبات الملقاة على عاتق الأب بالنسبة إلى ولده. ولأهميَّة هذا الموضوع أذكر هذه الأحاديث التي ترسم صورة واضحة عن هذا المبحث:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ع، قال: «حدَّثني أبي، عن جدِّي، قال: قال أمير المؤمنين ع: سمّوا أولادكم قبل أن يولدوا، فإن لم تدروا أذكر أم أنثى فسمّوهم بالأسماء التي تكون للذكر والأنثى، فإنَّ

(١) أريد من الاسم هنا الأعمّ من الاصطلاح النحوي.

(٢) مستدرک الحاكم ٣: ٤٢٩.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟ ٥٥

أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسموهم يقول السقط لأبيه: ألا سمّيتني! وقد سمّي رسول الله ﷺ محسنًا قبل أن يُولّد»^(١).

وعن أبي الحسن عليه السلام، قال: «أول ما يبرُّ الرجل ولده أن يُسميه باسم حسن، فليُحسِّن أحدكم اسم ولده»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لا يُولّد لنا ولد إلا سمّيناه محمّدًا، فإذا مضى (لنا) سبعة أيّام فإن شئنا غيرنا وإن شئنا تركنا»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «من وُلِد له أربعة أولاد لم يسم أحدهم باسمي فقد جفاني»^(٤).

واستعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة، وأمره أن يفرض لشباب قريش، وفرض لهم، فقال عليُّ بن الحسين عليه السلام: «فأتيته، فقال: ما اسمك؟ فقلت: عليُّ بن الحسين، فقال: ما اسم أخيك؟ فقلت: عليُّ، قال: عليُّ وعليُّ؟! ما يريد أبوك أن يدع أحداً من ولده إلا سمّاه عليًّا؟! ثم فرض لي، فرجعت إلى أبي فأخبرته، فقال: ويلى علي ابن الزرقاء دباغة الأدم، لو وُلِد لي مائة لأحببت أن لا أُسمي أحداً منهم إلا عليًّا»^(٥).

وعن سليمان الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمّد، أو أحمد، أو عليّ، أو الحسن، أو الحسين، أو جعفر، أو طالب، أو عبد الله، أو فاطمة من النساء»^(٦).

(١) الكافي ٦: ١٨ / باب الأسماء والكنى / ح ٢.

(٢) الكافي ٦: ١٨ / باب الأسماء والكنى / ح ٣.

(٣) الكافي ٦: ١٨ / باب الأسماء والكنى / ح ٤.

(٤) الكافي ٦: ١٨ / باب الأسماء والكنى / ح ٦.

(٥) الكافي ٦: ١٩ / باب الأسماء والكنى / ح ٧.

(٦) الكافي ٦: ١٩ / باب الأسماء والكنى / ح ٨.

٥٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

وعن جابر، قال: أراد أبو جعفر عليه السلام الركوب إلى بعض شيعته ليعوده، فقال: «يا جابر، ألحقني»، فتبعته، فلما انتهى إلى باب الدار خرج علينا ابن له صغير، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «ما اسمك؟»، قال: محمد، قال: «فيما تُكنّى؟»، قال: بعلي، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «لقد احتظرت من الشيطان احتظاراً شديداً، إنَّ الشيطان إذا سمع منادياً ينادي: يا محمد يا علي، ذاب كما يذوب الرصاص، حتَّى إذا سمع منادياً ينادي باسم عدوٍّ من أعدائنا اهتزَّ واختال»^(١).

ولأجل أهمّية هذا الموضوع، ورد النهي - بنحو الكراهة - عن التسمية ببعض الأسماء، لما فيها من دلالات سلبية، وورد أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله غيّر بعض الأسماء لأجل ذلك.

فعن ابن بكير، عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنَّ رجلاً كان يُغشي عليّ بن الحسين عليهما السلام، وكان يُكنّى أبا مرّة، فكان إذا استأذن عليه يقول: أبو مرّة بالباب، فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: بالله إذا جئت إلى بابنا فلا تقولن: أبو مرّة»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُغيّر الأسماء القبيحة في الرجال والبلدان»^(٣).

ووفد عليّ النبي صلى الله عليه وآله رجل فقال: «ما اسمك؟»، فقال: بغيض، قال: «أنت حبيب، فسماه حبيباً»^(٤).

(١) الكافي ٦: ١٩ و ٢٠ / باب الأسماء والكنى / ح ١٢.

(٢) الكافي ٦: ٢١ / باب الأسماء والكنى / ح ١٧.

(٣) قرب الإسناد: ٩٣ / ح ٣١٠.

(٤) أسد الغابة لابن الأثير ١: ٣٧٤.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟ ٥٧

وأنت تعلم أنّ المدينة المنوّرة كانت تُسمّى 'يثرب'، فسماها النبيّ الأكرم ﷺ بعد هجرته إليها بالطيبة^(١).

(جيم فارلي) ما إن بلغ الأربعين من عمره حتّى منحته أربع جامعاتٍ درجاتها الفخرية، وتمّ تعيينه مديراً للبريد العامّ في الولايات المتّحدة، فما سرّ نجاحه؟ كان يمتلك مقدرةً فائقةً على تذكر أسماء الناس. كان يلقي الرجل فيتعرّف على اسمه الكامل وأسماء أولاده وأهله المقربين، ويستفسر عن عمله وميوله السياسية ونزعاته الفكرية، ثمّ يخترن كلّ ذلك في ذاكرته حتّى إذا التقى به ثانيةً سار الحديث بينهما وكأنّه لم ينقطع عنه. فيسأله (جيم) عن أولاده وزوجته وأزهار حديقته، وفي لغة يشعر معها المسؤول بقرباته الفعلية من قلب (جيم) وعواطفه^(٢).

(١) أنظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥: ٢٩٢ / مادّة (يثرب).

ومن الطرائف ما روي من أنّه وفد الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة والحباب بن يزيد المجاشعي على معاوية، فقال لجارية: يا جارية! أنت الساعي مع عليّ بن أبي طالب، والموقد النار في شعلك، تجوس قرى عريية تسفك دماءهم؟ قال جارية: يا معاوية! دع عنك عليّاً، فما أبغضنا عليّاً مذ أحببناه، ولا غششناه مذ نصحناه. قال: ويحك يا جارية! ما كان أهونك على أهلك إذ سمّوك جارية! قال: أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاوية. قال: لا أمّ لك. قال: أمّ ما ولدتني. إنّ قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفّين في أيدينا. قال: إنّك لتهدّدي! قال: إنّك لم تملكنا قسرة، ولم تفتحنا عنوة، ولكن أعطيتنا عهداً وموآثيق، فإن وفيت لنا وفينا لك، وإن نزعنا إليك غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً وأذرعاً شداداً وأسنة حداداً، فإن بسطت إلينا فتراً من غدر دلفنا إليك بباع من ختر. قال معاوية: لا كثر الله في الناس أمثالك! قال: قل معروفاً يا أمير... فقد بلونا قريشاً، فوجدناك أوراها زنداً، وأكثرها رفاً، فارعنا رويداً، فإن شرّ الرعاء الحطمة. (تهذيب الكمال للمزي ٤: ٤٨٢ و ٤٨٣).

(٢) أنظر: فنّ التعامل مع الناس لعبد الرحمن الجار الله: ١٤ و ١٥.

٥٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

وهكذا إذا أردت أن يُحبَّك الناس فاذكر أسماءهم، لأنَّ اسم الرجل هو من أقرب الطرق لكسبه.

الطريق العاشر: تعامل مع الفئات العمرية بذكاء:

إنَّ الناس إمَّا أصغر منك عمراً، وإمَّا بنفس عمرك، وإمَّا أكبر منك، وحتَّى تدخل في قلوب هؤلاء جميعاً فإنَّك تحتاج إلى أسلوب مناسب مع كلِّ واحدٍ منهم، وقد تكفَّلت تربويات الدين ببيان ذلك.

أمَّا من هم أصغر منك، فهنا نقاط كثيرة، نذكر منها:

أولاً: أن تحاكم بينهم فيما لو دعت الضرورة إلى ذلك بالعدل، لأنَّهم عندما يأتون للكبير يريدون منه أن يتفاعل معهم، وأن ينصفهم، وأن يعاملهم وكأهم كبار، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام ألقى صبيان الكتاب ألواحهم بين يديه ليُخَيَّر بينهم، فقال: أمَّا إنَّها حكومة! والجور فيها كالجور في الحكم! أبلغوا معلِّمكم إن ضربكم فوق ثلاث ضربات في الأدب أقتصُّ منه»^(١).

ثانياً: ينبغي أن يبدأ بالسلام عليهم، وليتأسَّ بالنبِيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فإنَّه كان يُسلِّم على الصبيان لتكون سنَّة من بعده^(٢).

ثالثاً: عدم التعنيف في المعاتبة عندما يُخطئ، فالطفل ليس معصوماً، وبالتالي سيقع في الخطأ، وليس صحيحاً أن أتغاضى عن الخطأ، وإنَّما لا بدَّ من المعاتبة، ولكن كيف؟ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا عاتبت الحدث فاترك له موضعاً من ذنبه، لئلاَّ يحمل الإخراج على المكابرة»^(٣).

(١) الكافي ٧: ٢٦٨ / باب النوادر / ح ٣٨.

(٢) أنظر: الخصال: ٢٧١ و ٢٧٢ / ح ١٢ و ١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٣٣٣ / ح ٨١٩.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟ ٥٩

رابعاً: العمل على إرضائه وتسكّيته عندما يبكي، فإنّ ذلك أكثر ما يُحبّبك إلى الأحداث، وفيه من الثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى، يقول رسول الله ﷺ: «من بكى صبي له فأرضاه حتّى يسكّته أعطاه الله ﷻ من الجنّة حتّى يرضى»^(١).

وخصوصاً إذا كان يتيماً، فـ «إنّ في الجنّة داراً يقال لها: دار الفرح، لا يدخلها إلا من فرّح يتامى المؤمنين»^(٢).

خامساً: الوفاء بالوعد معهم، وهو أمر مهمّ في مجال التربية والتعليم، فإنّ الكذب بالوعد معهم يُبرّر لهم الكذب في المستقبل، وحجّتهم في ذلك الفعل الذي صدر من أبيهم أو من الرجل الكبير الذي كذب عليهم بالوعد، ولذا يقول رسول الله ﷺ: «أحبّوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فإنّهم لا يدرون إلا أنّكم ترزقونهم»^(٣).

سادساً: لا تكن منغصاً لفرحهم وسرورهم، وإن كان هذا على حساب كسر الكأس الجديد، أو إتلاف كتاب مهمّ عندك، فالطفل طفل وليس حكيماً! ولا أظنّ أنّهم يُفسدون شيئاً فريداً في هذا الكون ولا يوجد ثانٍ له أو بديل!

أمّا من هم أكبر منك، فقبل أن نذكر آداب التعامل معهم، لا بدّ أن نتذكّر أمرين مهمّين:

(١) الفردوس ٣: ٥٤٩ / ح ٥٧١٥ عن ثوبان؛ نقله عنه: تربية الطفل في الإسلام للريشهري: ١١٩ / ح ٣٤٢.

(٢) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٣٥٤ / ح ٢٣٢٢.

(٣) الكافي ٦: ٤٩ / باب برّ الأولاد / ح ٣.

٦٠ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

الأمر الأول: إنَّ كبر السنِّ يُشكِّل صعوبة في التعامل - إذا صحَّ التعبير -، فالقرآن الكريم يُعبِّر عن تلك المرحلة بـ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (النحل: ٧٠)، بمعنى أنَّ الإنسان يبدأ طفلاً، وقد يعود طفلاً في يوم من الأيام، وإن كان هذا لا يُعدُّ قاعدة عامَّة، وإنَّما على الأقلِّ هو واقع معاش وطبيعي، خصوصاً إذا ضممنا إليه اختلاف الثقافات بين الأجيال. وهذا ما يؤدي إلى أن لا يقبل الكبير الكثير من التصرفات من الشباب، أو يؤدي إلى صعوبة تعايش الشباب مع ثقافة الكبير الموروثة. من هنا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنَّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»^(١).

الأمر الثاني: ولكن رغم هذا، ورد التأكيد الشديد على ضرورة التعامل المناسب مع الكبير، سواء كان رحماً كالأب والأمِّ، حيث أمرنا بالتعامل معهم وفق التالي: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ (الإسراء: ٢٣ و ٢٤). أو غير رحم، من هنا ورد عن رسول الله ﷺ: «من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم»^(٢)، «إنَّ من إجلالي توقير الشيخ من أمَّتِي»^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٦٧ / ح ١٠٢.

(٢) الكافي ٢: ١٦٥ / باب إجلال الكبير / ح ١.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٣٧٧ / ح ٢٤٧٠.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟ ٦١

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «عظّموا كباركم، وصلوا أرحامكم»^(١)،
«ليس منّا من لم يُوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا»^(٢).

وحتى تتضح الصورة نذكر عدّة أمور مهمّة تُمثّل آداب التعامل مع

الكبير:

أولاً: لا تستغلّ قوّتك وخفّة وزنك لتتقدّم عليه عندما تمشي معه، بل انتظره وماشه وخذ بيده، وإلا فإنّ القوس آتٍ إليك بلا ثمن!

ثانياً: استمع إليه إذا تحدّث، ولا تُظهر الضجر من حديثه وإن كان مملاً! بل أظهر أنّك مهتمٌّ بكلامه وبنصائحه. وأكثر من استشارته، فلا شكّ أنّ له خبرة في الحياة أكثر منك بكثير.

ثالثاً: إن ظهر منه خطأ، فحاول أن تنصحه برفق وبأسلوب غير مباشر، كما فعل الإمامان الحسنان عليهما السلام مع الشيخ الكبير في حادثة الوضوء المعروفة^(٣).

رابعاً: ساعده، واحمل الأشياء الثقيلة عنه، ولا تُكلّفه بما لا يُطيقه!

وأما الذين هم في سنّك، فالتعامل معهم يكون وفق التالي:

أولاً: أنظر إلى الجوانب المشرقة في تصرّفاتهم وأخلاقهم، ولا تنظر إلى نقاط الضعف فيهم، ولا تُصخّمها لو نظرت إليها، فإنّ ذلك من أخلاق السفهاء، وهو مدعاة إلى أن ينصرف عنك الناس، وخصوصاً من هم في عمرك، لأنّهم لا يريدون أن ينظر أحد إلى سلبياتهم، كما أنت كذلك تماماً.

(١) الكافي ٢: ١٦٥ / باب إجلال الكبير / ح ٣.

(٢) الكافي ٢: ١٦٥ / باب إجلال الكبير / ح ٢.

(٣) راجع: بحار الأنوار ٤٣: ٣١٩.

٦٢ كيف تُقِيل القلوب، ولماذا تُدبر؟

وقد ورد أن النبي عيسى عليه السلام مرَّ هو والحواريين على جيفة، فقالوا: ما أنتن ريح هذا الكلب! فقال عيسى عليه السلام: «ما أشدَّ بياض أسنانه!»^(١).

ثانياً: وإن أردت أن تنصحه على خطأ صدر منه، فكن له مرآة صافية صادقة، وأنت تعلم أن المرأة تنقل الحدث إلى الآخر مباشرةً ومن دون غشٍّ، ولكنها تنقله بصورة مؤدَّبة وبطريقة مهذَّبة لا تؤذي مشاعر الناظر فيها، فالنصح واجب، لكن بشرط أن يكون بطريقة مهذَّبة، ﴿ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ (المؤمنون: ٩٦).

ثالثاً: تجب التصرفات التي تؤذي مشاعرهم، كالشك في تصرفاتهم^(٢)، وذكر مساوئهم في حضرتهم - إذا كان غيركما في المجلس - أو في غيبتهم، أو حسدهم واستكثار ما في أيديهم، وقد قال جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

رابعاً: الحفاظ على قدر من الأصول والروتين العام في علاقتك مع من هم في سنِّك من أصدقائك ومعارفك، ولا ترفع جميع الحجب فيما بينكم، لأنَّه يؤدِّي إلى ما لا تُحمد عقباه، وقد قال الإمام الصادق

(١) بحار الأنوار ١٤: ٣٢٧/ ح ٤٧، عن تنبيه الخواطر (مجموعة ورام) ١: ١٢٥.

(٢) قال الإمام علي عليه السلام: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتَّى يأتيك منه ما يغلبك منه، ولا تظنَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً». (الكافي ٢: ٣٦٢/ باب التهمة وسوء الظنِّ/ ح ٣). ويقول عليه السلام: «من حسن ظنه بالناس حاز منهم المحبَّة». (عيون الحكم والموعظ: ٤٣٥).

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٦٣

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تُذْهِبِ الحِشْمَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ، وَأَبْقِ مِنْهَا، فَإِنَّ ذَهَابَ الحِشْمَةِ ذَهَابُ الحَيَاءِ، وَبِقَاءِ الحِشْمَةِ بَقَاءُ المُوَدَّةِ»^(١).

وفي هذا المجال ينبغي عدم التفريط بحقوقه اتكالا على ما بينكما من المودة، كمن يستعمل حاجة صديقه من دون إذنه، أو يتصرف في شيء من أموره من دون سابق إنذار.

والخلاصة: أنه لا بد من الحفاظ على قدر من (الروتين العرفي) في العلاقات، وقد قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعَّتْ حَقَّهُ»^(٢).

خامساً: احتمال زلته وخطئه وقبول عذره لو أخطأ، فحاول سد الثغرات التي ربما تصدر منه، فإن ذلك من أهم ركائز المودة من دون شك، وقد قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ أَخَاكَ حَقًّا مَنْ غَفَرَ زَلَّتْكَ، وَسَدَّ خَلَّتْكَ، وَقَبَلَ عَذْرَكَ، وَسَتَرَ عَوْرَتَكَ، وَنَفَى وَجْلَكَ، وَحَقَّقَ أَمْلَكَ»^(٣).

وينبغي أيضاً عدم تعنيفه في العتاب أو عند الخطأ إلا في طاعة الله والنهي عن معصيته، فإن خير إخوانك من عنتك في طاعة الله - كما يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٤).

والخلاصة:

إن تربيوات الدين أمرتنا باحترام الجميع. أمّا من هم أكبر سنّاً منّا، فلائهم أكثر خدمةً منّا للدين وأكثر طاعةً لله تعالى. وأمّا من هم

(١) تحف العقول: ٣٧٠.

(٢) نهج البلاغة: ٤٠٣ / ح ٣١، من وصية له لابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١٥٤.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٢٣٨.

٦٤ كيف تُقِيلِ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

أصغر منّا، فلائهم أقلّ ذنوباً منّا. وأمّا الذين بأعمارنا، فلائنا نعلم بذنوبنا ولا نعلم بذنوبهم!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «النَّاسُ صِنْفَانِ إِمَّا أَخْ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ»^(١).

وروي أنّ الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام: إذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خيراً منه، فجعل موسى لا يعترض أحداً إلاّ وهو لا يجسر أن يقول: إني خير منه، فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتّى مرّ بكلب أجرب فقال: أصحب هذا، فجعل في عنقه حبلاً، ثمّ جرّ به، فلمّا كان في بعض الطريق شمّر الكلب من الجبل وأرسله، فلمّا جاء إلى مناجاة الربّ سبحانه قال: يا موسى، أين ما أمرتك به؟ قال: يا ربّ، لم أجده. فقال الله تعالى: وعزّتي وجلالي لو أتيتني بأحد لمحتك من ديوان النبوة»^(٢).

وهنا ملاحظة مهمّة:

في هذا المجال، وهي أنّه لا بدّ للإنسان أن يوازن بين العزّة المطلوبة منه كمؤمن ﴿وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)، وبين التواضع الذي كنّا نتكلّم فيه الآن، وإلى هذا المعنى يشير الإمام السجّاد عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: «اللهم صلّ على محمد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلاّ حططتني عند نفسي مثلها، ولا تُحدِث لي عزّاً ظاهراً إلاّ أحدثت لي ذلّة باطنة عند نفسي بقدرها»^(٣).

(١) أنظر: نهج البلاغة: ٤٢٧/ ح ٥٣.

(٢) عدّة الداعي: ٢٠٤.

(٣) الصحيفة السجّادية (أبطيحي): ١١٠.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٦٥
فالرفعة والعزة الظاهرية لا بدَّ أن يقابلها حطة وذلة باطنية اتَّجَاه
من وهب لك تلك العزة، وما يستتبع ذلك من تودد لخلق الله تعالى.

النوع الثاني: طرق تحتاج إلى بذل ولو قليلاً:

وهذه الطرق تعتمد على مبدأ «مَنْ جَادَ سَادَ»^(١)، وعلى مبدأ
«جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حَبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا»^(٢)، وتنطوي تحت هذا النوع
الكثير من الأمور والأفعال، نذكر المهم منها:
الطريق الأول: الإحسان إلى الناس:
فقديماً قالوا:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحساناً
والإحسان محبة، وبه تملك القلوب، ومن كثر إحسانه أحبَّه
إخوانه، وكثر خدمه وأعوانه، واستدام منهم المحبة - كما يقول أمير
المؤمنين عليه السلام -^(٣).

وليس مهماً كم الإحسان الذي تُقدِّمه بقدر ما هو مهم كيف يكون
ذلك الإحسان، وبأية طريقة تُقدِّمه، فإنه «قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ
مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ»^(٤) (البقرة: ٢٦٣).

والله عز وجل يقول: «وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(٥) (المائدة: ٩٣).

وقال الإمام علي عليه السلام: «امن على من شئت تكن أميره»^(٤).

هذا فضلاً عن أن الإحسان وظيفة لازمة في حق من أحسن الله

(١) الكافي ٨: ٢١ / ح ٤، خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨١ / ح ٥٨٢٦.

(٣) أنظر: ميزان الحكمة ١: ٦٤١ / الرقم ٨٦٤.

(٤) الخصال: ٤٢٠ / ح ١٤.

٦٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

تعالى إليه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أحقُّ الناس بالإحسان من أحسن الله إليه، وبسط بالقدرة يديه»^(١).

وتذكَّر أنَّك لن تستطيع أن تسع الناس بأموالك، فسعهم بأخلاقك.

ومن الإحسان المكافأة على الصنائع، بمعنى أن تُرجع إحسان من أحسن إليك بأزيد منه، ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ (النساء: ٨٦)، وترك ذلك يقطع سبيل المعروف - كما قالوا -^(٢).

الطريق الثاني: صلة الرحم:

كما أن الشجرة تحتاج إلى تعهد بالسقي، كذلك الرحم يحتاج إلى مواصلة الصلة، حتَّى لو قطعك أحدهم، فما بالك لا تصبح أفضل منه وأقرب إلى الله تعالى فتصله وإن قطعك.

ولا بدَّ أن يكون التواصل بصورة مهذَّبة - بالصورة التي تقدَّمت في أدبيات الزيارة -.

واليوم لا عذر لمن يقطع رحمه، فإنَّ وسائل الاتصال وفَّرت الكثير من الوقت والمال في سبيل ذلك، فاتَّصال هاتفني دوري تجريه مع أرحامك كفيلاً باستمرار علاقتك معهم وإن لم تصلهم ميدانياً، وطبعاً الفضل يبقى للوصلة الميدانية، فإنَّ فيها تصريحاً بالحبِّ وعملاً به.

يقول الإمام علي عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عِزَّتِهِ، وَدَفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّتِّهِمْ، وَهُمْ أَعْظَمُ

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١٢٧.

(٢) أنظر: من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٧ و٥٨ / ح ١٦٩٦.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٦٧

النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ وَأَلْمُهُمْ لَشَعْبِهِ، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ، وَلِسَانَ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرًا لَهُ مِنَ الْمَالِ يَرِثُهُ غَيْرُهُ. أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ، أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِلَّا أَنْ أَمْسَكَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِلَّا أَنْ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ، وَمَنْ تَلَسَّ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ»^(١).

والروايات الشريفة الحاثثة على صلة الرحم أكثر من أن نحصيها في هذه العجالة، وهي تذكر الكثير من الثمرات على ذلك، نذكر منها:

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «صلة الأرحام تُرَكِّي الأعمال، وتُتَمِّي الأموال، وتدفع البلوى، وتُسِّر الحساب، وتُنسى في الأجل»^(٢).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «صلة الأرحام تُحَسِّن الخلق وتسمح الكفِّ، وتطيب النفس، وتزيد في الرزق، وتُنسى في الأجل»^(٣).

ويقول عليه السلام: «إِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ وَالْبِرَّ لِيُهَوِّنَانَ الْحِسَابِ، وَيَعْصِمَانِ مِنَ الذُّنُوبِ، فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ، وَبَرُّوا بِإِخْوَانِكُمْ، وَلَوْ بِحَسَنِ السَّلَامِ وَرَدَّ الْجَوَابِ»^(٤).

ويقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَرْءَ لِيَصِلَ رَحِمَهُ وَمَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ فَيُنْسِيَهُ اللَّهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَقْطَعَ الرَّحِمَ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ ثَلَاثُونَ سَنَةً فَيُصَيِّرُهُ اللَّهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»^(٥).

(١) نهج البلاغة: ٦٥ / الخطبة ٢٣.

(٢) الكافي ٢: ١٥٠ / باب صلة الرحم / ح ٤.

(٣) الكافي ٢: ١٥١ / باب صلة الرحم / ح ٦.

(٤) الكافي ٢: ١٥٧ / باب صلة الرحم / ح ٣١.

(٥) كنز العمال ٣: ٣٥٧ / ح ٦٩٢٠.

٦٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

الطريق الثالث: الهدية:

ولها تأثير عجيب، فهي تُذهب بالسمع والبصر والقلب، وما يفعلُه الناس من تبادل الهدايا في المناسبات وغيرها أمر محمود، بل ومندوب إليه على أن لا يُكَلِّف نفسه إلا وسعها، ومن اللطيف ما نراه في مجتمعاتنا من أن أحدنا إذا ذهب للحجّ أو للزيارة مثلاً جلب معه هدايا ولو رمزية يُقدِّمها لمن يزوره، والناس تُحبُّ الذهاب إلى من يعطيهم هدايا، وهل رأيت الناس تتكالب على شخص قدم من سفر من دون هدايا؟! هدايا!

وهكذا تعودت مجتمعاتنا على تقديم هدايا للمولود الجديد، أو حين الختان، أو عند الزواج، أو أُنهم يأخذون معهم بعض الهدايا للمريض عندما يزورونه^(١)، وغيرها العديد من العادات الحسنة.

وهذا ما أكّده ودعت إليه الروايات الشريفة، فعن رسول الله ﷺ: «الهدية تُذهب الضغائن من الصدور»^(٢).

وعنه ﷺ: «الهدية تورث المودة، وتُجَدِّد الأخوة، وتُذهب الضغينة، تهادوا تحابوا»^(٣).

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «لأن أهدي لأخي المسلم هدية تنفعه أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بمثلها»^(٤).

(١) ورد في تعليقة السيّد عليّ السيستاني على العروة الوثقى (ج ١ / ص ٢٨١ و ٢٨٢) في أدبيات زيارة المريض: (الخامس: أن يستصحب هدية له من فاكهة أو نحوها ممّا يُفرحه ويُريحه) كما تقدّم في عنوان الزيارة.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٧٩ / ح ٣٤٣.

(٣) عوالي اللئالي ١: ٢٩٤ / ح ١٨٣ و ١٨٤.

(٤) الكافي ٥: ١٤٤ / باب الهدية / ح ١٢.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟ ٦٩

وعن رسول الله ﷺ: «الهدية على ثلاثة أوجه: هدية مكافأة، وهدية مصانعة، وهدية لله ﷻ»^(١).

ثم إنَّ الهدية لها مفهوم واسع ينطبق على العديد من الفقرات، منها ما ورد عن رسول الله ﷺ: «ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة، يزيده الله بها هدى، أو يرده بها عن ردى»^(٢).

وفي الرواية أن جبرئيل عليه السلام قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، إنَّ الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهدية لم يُعطيها أحداً قبلك، قال رسول الله ﷺ: «قلت: وما هي؟ قال: الصبر، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: الرضا، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: الزهد، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: الإخلاص، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: اليقين، وأحسن منه. قلت: وما هو يا جبرئيل؟ قال: إنَّ مدرجة ذلك التوكّل على الله ﷻ، فقلت: وما التوكّل على الله ﷻ؟ فقال: العلم بأنَّ المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع ولا يُعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق...»^(٣).

وحيث إنَّ في الهدية نوع منّة وتكرّم، فقد ورد النهي عن قبول هدايا المشركين والكفّار من أهل الحرب، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «... كان عياض رجلاً عظيماً الخطر، وكان قاضياً لأهل عكاظ في الجاهلية، فكان عياض إذا دخل مكة ألقى عنه ثياب الذنوب والرجاسة، وأخذ ثياب رسول الله ﷺ لظهرها، فلبسها وطاف بالبيت ثمَّ يردها

(١) الكافي ٥: ١٤١ / باب الهدية / ح ١.

(٢) شعب الإيمان ٢: ٢٨٠ / ح ١٧٦٤.

(٣) معاني الأخبار للصدوق: ٢٦٠ و ٢٦١ / باب معنى التوكّل على الله ﷻ... / ح ١.

٧٠ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

عليه إذا فرغ من طوافه. فلما أن ظهر رسول الله ﷺ أتاه عياض بهدية، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها، وقال: يا عياض، لو أسلمت لقبلت هديتك، إنَّ الله ﷻ أبى لي زيد المشركين، ثمَّ إنَّ عياضاً بعد ذلك أسلم وحسن إسلامه، فأهدى إلى رسول الله ﷺ هدية، فقبلها منه^(١).

الطريق الرابع: السخاء:

إنَّ الروايات الواردة في شأن السخاء كثيرة جداً، وأنت عندما تقرأ في آثار السخاء تجد العجب العجاب، وحتى تتضح الصورة نُنقِّط البحث فيه بعدة نقاط:

النقطة الأولى:

إنَّ صفة السخاء من الصفات التي تُحبَّب السخيَّ إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ وإلى الناس، فعن رسول الله ﷺ: «السخيُّ قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الله يُحبُّ إطعام الطعام، وإراقة الدماء بمنى»^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «السخاء يُكسِب المحبَّة، ويَزين الأخلاق»^(٤).

وعن رسول الله ﷺ: «الرزق أسرع إلى من يُطعم الطعام من السكِّين في السنام»^(٥).

(١) الكافي ٥: ١٤٢ / باب الهدية / ح ٣.

(٢) الكافي ٤: ٤٠ / باب معرفة الجود والسخاء / ح ٩.

(٣) المحاسن ٢: ٣٨٨ / ح ٩.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٥٠.

(٥) الكافي ٤: ٥١ / باب فضل إطعام الطعام / ح ١٠.

النقطة الثانية:

والسخاء من الصفات التي تجرُّ نحو دين التوحيد، فقد روي أنَّ جماعة أسارى جيء بهم إلى رسول الله ﷺ فأمر أمير المؤمنين عليّاً بضرب أعناقهم، ثمَّ أمره بإفراد واحد منهم وأن لا يقتله، فقال الرجل: لِمَ أفردتني من أصحابي والجنابة واحدة؟ فقال: «إنَّ الله ﷻ أوحى إليَّ أنَّك سخيٌّ قومك و[أن] لا أقتلك»، فقال الرجل: فإني أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنك رسول الله، قال: فقاده سخاؤه إلى الجنة^(١).

النقطة الثالثة:

وهو بالتالي ممَّا يشفع للإنسان عند الله تعالى، فقد روي أنَّه «أوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام: أن لا تقتل السامري فإنه سخيٌّ»^(٢). وأنَّ رسول الله ﷺ قال لعدي بن حاتم طيء: «إنَّ الله دفع عن أبيك العذاب الشديد، لسخاء نفسه!»^(٣).

وعن رسول الله ﷺ: «إنَّ أهون أهل النار عذاباً عبد الله بن جذعان»، فقيل له: ولمَ يا رسول الله؟ قال: «إنَّه كان يُطعم الطعام»^(٤).

النقطة الرابعة:

إنَّ من أهمِّ مفردات السخاء هو الإطعام، بل لعلَّه المصداق الأبرز للسخاء، ومن دون إطعام يصعب أن نُسَمِّي أحداً سخيّاً! يقول الإمام عليٌّ عليه السلام: «لذة الكرام في الإطعام، [و]لذة اللئام في الطعام»^(٥).

(١) الاختصاص: ٢٥٣، عنه بحار الأنوار ٦٨: ٣٥٤ و٣٥٥/ ح ١٦.

(٢) الكافي ٤: ٤١/ باب معرفة الجود والسخاء/ ح ١٣.

(٣) الاختصاص: ٢٥٣.

(٤) المحاسن ٢: ٣٨٩/ ح ٢١.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٠.

وفي قضية الإطعام لا بدَّ أن نلتفت إلى:

أولاً: أن الشريعة قد شرَّعت عدَّة أنواع للإطعام في مناسبات خاصَّة، وكأثمتها جعلت من هذه المناسبات أوقاتاً رسمية لإقامة الولائم، وهي وإن لم تكن واجبة، ولكنها من المستحبات التي تجرُّ محبة الناس بلا شك، فعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في وصيته له: «يا علي، لا وليمة إلا في خمس: في عرس، أو خرس، أو عذار، أو وكار، أو ركاز. والعرس التزويج، والخرس النفاس بالولد، والعذار الحتان، والوكار في شراء الدار، والركاز الذي يقدم من مكة»^(١).

ثانياً: ومن هذا يتبيَّن أنه ليس من السنة أن يأكل أحدنا في (الفاتحة)، بل على العكس، السنة أن يصنع الجيران والأقرباء الطعام لأصحاب المصيبة ويعثونه إليهم، فقد روي أنه لما قتل جعفر الطيار (صلوات الله عليه) قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «اتَّخذوا لآل جعفر طعاماً، فقد سُغِلوا»^(٢).

ثالثاً: هناك مفردات للإطعام - غير ما ذُكر في الرواية المتقدِّمة - ينبغي أن يداوم عليها الإنسان ما أمكنه إلى ذلك سبيلاً، خصوصاً وإن

(١) الخصال: ٣١٣ و ٣١٤ / ح ٩٢، ثم قال الشيخ الصدوق رحمته الله بعد هذا الحديث: (يقال للطعام الذي يُدعى إليه الناس عند بناء الدار أو شرائها: الوكيرة، والوكار منه. ويقال للطعام الذي يُتخذ للقادم من السفر: النقيعة. والركاز الغنيمة، كأنه يريد أن في اتَّخاذ الطعام للقدوم من مكة غنيمة لصاحبه من الثواب الجزيل...).

(٢) الكافي ٣: ٢١٧ / باب ما يجب على الجيران لأهل المصيبة... / ح ٤. علماً أن الإطعام في الفواتح إذا كان من أموال الورثة القاصرين أو البالغين من دون رضاهم لا يجوز، وعلى من يريد أن يُطعم الناس في الفاتحة أن يفتح كيسه وينفق منه، لا أنه يظهر بمظهر السخي من مال غيره على مبدأ (وهب الأمير ما لا يملك)!

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٧٣

بعضها تُعَدُّ من الواجبات العرفية، مثل إطعام الضيف وإكرامه،
وكدعوة الإخوة المؤمنين^(١)، وإطعام الصائم في إفتار شهر رمضان^(٢)،
وإطعام اليتيم^(٣)، وإطعام الجائع^(٤).

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من أطعم مسلماً حتَّى يُشبعه لم يدرِ
أحد من خلق الله ماله من الأجر في الآخرة، لا ملك مقرب ولا نبيُّ
مرسل إلاَّ الله ربِّ العالمين...»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ
ذِي مَسْعَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ [البلد: ١٤]»^(٥).

عن حسين بن نعيم الصحَّاف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أُحِبُّ
إخوانك يا حسين؟»، قلت: نعم، قال: «تنفع فقراءهم؟»، قلت: نعم،
قال: «أما إنَّه يحقُّ عليك أن تُحِبَّ من يُحِبُّ الله، أما والله لا تنفع منهم

(١) في الكافي ٢: ٢٠٠ و ٢٠١ / باب إطعام المؤمنين / ح ٣: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات الفردوس وجنة عدن وطوبى [و] شجرة تخرج من جنة عدن، غرسها ربُّنا بيده».

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام: «من فطر صائماً فله مثل أجره». (الكافي ٤: ٦٨ / باب من فطر صائماً / ح ١).

(٣) عن رسول الله الأعظم ﷺ: «من كفل يتيماً [من] بين مسلمين فأدخله إلى طعامه وشرابه، أدخله الله الجنة البتة، إلا أن يعمل ذنباً لا يُغفر». (عوالي اللئالي ١: ١٩٠ / ح ٢٧٤). وقال ﷺ - لرجل يشكو قسوة قلبه - «أُحِبُّ أن يلين قلبك وتدرِك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلين قلبك، وتدرِك حاجتك». (مجمع الزوائد للهيتمي ٨: ١٦٠).

(٤) في الكافي ٢: ٢٠١ / باب إطعام المؤمنين / ح ٥: عن عليِّ بن الحسين عليهما السلام، قال: «من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم».

(٥) المحاسن ٢: ٣٨٩ / ح ١٧.

٧٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

أحداً حتَّى تُحِبَّهُ، أتدعوهم إلى منزلك؟»، قلت: نعم ما أكل إلاّ ومعي منهم الرجلان والثلاثة والأقلّ والأكثر، فقال أبو عبد الله: «أمّا إنّ فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم»، فقلت: جُعلت فداك، أطعمهم طعامي وأوطئهم رحلي، ويكون فضلهم عليّ أعظم؟! قال: «نعم إنهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك»^(١).

الطريق الخامس: قضاء حوائج الإخوان:

الإنسان اجتماعي بطبعه، والعلاقات الاجتماعية عرى منفصلة، إلاّ إذا عملت على وصلها بعضها مع البعض الآخر، ومما يجعلها متّصلة ويساعد على ديمومتها: قضاء الحاجة.

والإسلام قد شجّع على قضاء حاجة الأخ المؤمن، ليس فقط لأنّها تُحبّبك إلى الناس، وإنّما لأنّها تُقربك من الله تعالى والرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، كما ستعرف ذلك بعد قليل إن شاء الله تعالى.

عن الإمام الصادق عليه السلام - في حديث طويل - : «لأنّ أسعى مع أخ لي في حاجة حتّى تُقضى أحبُّ إليّ من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل على ألف فرس في سبيل الله مسرّجة ملجمة»^(٢).

وعن رسول الله ﷺ: «من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنّما عبد الله ﷻ تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره قائماً ليله»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «قضاء حاجة المؤمن أفضل من ألف

(١) الكافي ٢: ٢٠١ و ٢٠٢ / باب إطعام المؤمن / ح ٨.

(٢) قضاء حقوق المؤمن للصورى: ٣١ / ح ٤٣، عنه بحار الأنوار ٧١: ٣١٦ / ح ٧٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٠ / ح ٢١٠٨.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟ ٧٥

حجّة متقبّلة بمناسكها، وعتق ألف رقبة لوجه الله، وحملان ألف فرس في سبيل الله بسرّجها وجمها»^(١).

وعنه عليه السلام: «أيما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة، وهو يقدر على قضائها، فمنعه إيّاها، عيّرهُ الله يوم القيامة تعبيراً شديداً، وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلتُ قضاءها في يدك، فمنعته إيّاها زهداً منك في ثوابها، وعزّيتي لا أنظر إليك اليوم في حاجة معدّباً كنت أو مغفوراً لك»^(٢).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله، فلم يجره بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله عليه السلام»^(٣).

أدبيات قضاء الحاجة:

١ - نسبتها إلى الله عليه السلام لأنه تعالى هو الذي يعين على التوفيق لذلك، وهذا أدب تعلّمناه من أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وهو صفوان بن مهران الجمّال، الذي لَمّا قضى حاجة أحد إخوانه، نسب ذلك إلى الله عليه السلام، حيث ورد عن صفوان الجمّال، قال: كنت جالساً مع أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل مكّة يقال له: ميمون، فشكا إليه تعذّر الكراء عليه، فقال لي: «قم فأعن أخاك»، فقمتم معه، فيسّر الله كراهه، فرجعت إلى مجلسي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما صنعت في حاجة أخيك؟»، فقلت: قضاها الله بأبي أنت وأمّي. فقال:

(١) أمالي الصدوق: ٣٠٨ / ح (١/٣٥٣).

(٢) أمالي الطوسي: ٩٩ / ح (٦/١٥٢).

(٣) الكافي ٢: ٣٦٦ / باب من استعان به أخوه فلم يعنه / ح ٤.

٧٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

«أما إنك أن تعين أخاك المسلم أحبُّ إليَّ من طواف أُسبوع بالبيت مبتدئاً»^(١).

٢ - أن تكون لوجه الله تعالى، فإنَّ أيَّ أمرٍ إذا كان لوجه الله تعالى فهو خالد ما بقي الدهر، فأهل البيت عليهم السلام بماذا تصدَّقوا حتَّى أنزل الله تعالى فيهم سورة الدهر؟! هل تصدَّقوا بأموال طائلة، أم بيوتٍ فارهة، أم بذهب وفضة؟! كلاً، إنما تصدَّقوا بكسرات من خبز الشعير على مسكين ویتيم وأسير! ولكن لماذا خُلدت هذه الصدقة؟ دعونا نستفتي القرآن في ذلك! إنَّه يقول في سبب ذلك: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾ (الإنسان: ٩).

إذن هذا السبب، إنَّه (لوجه الله)!

٣ - قضاء حاجة المؤمن كرامة لأهل البيت عليهم السلام، فإنَّها من مقتضيات التشييع، وهي تسرِّهم وتفرِّحهم، ولا حاجة إلى أكثر من كونه شيعياً وموالياً لأهل البيت عليهم السلام حتَّى أواسيه بأموالي، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عند عدوِّنا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها»^(٢).

ومن ألطف ما ورد في قضاء الإخوة حاجة بعضهم، ما في كتاب قضاء حقوق المؤمنين لأبي عليّ بن طاهر الصوري بإسناده عن رجل من أهل الريّ، قال: ولي علينا بعض كتّاب يحيى بن خالد، وكان عليّ بقايا يطالبني بها، وخفت من إلزامي إيها خروجاً عن نعمتي، وقيل لي: إنَّه

(١) الكافي ٢: ١٩٨ / باب السعي في حاجة المؤمن / ح ٩.

(٢) الخصال: ١٠٣ / ح ٦٢.

الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودتهم؟ ٧٧

ينتحل هذا المذهب، فخفت أن أمضي إليه فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أحبُّ، فاجتمع رأيي على أني هربت إلى الله تعالى وحججت ولقيت مولاي الصابر - يعني موسى بن جعفر عليه السلام -، فشكوت حالي إليه، فأصحبني مكتوباً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم أن الله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفاً أو نفّس عنه كرباً، أو أدخل على قلبه سروراً، وهذا أخوك، والسلام».

قال: فعدت من الحج إلى بلدي، ومضيت إلى الرجل ليلاً، واستأذنت عليه، وقلت: رسول الصابر عليه السلام! فخرج إليّ حافياً ماشياً، ففتح لي بابه، وقبّلني وضمّني إليه، وجعل يقبل بين عيني، ويكرّر ذلك كلّما سألتني عن رؤيته عليه السلام وكلّما أخبرته بسلامته، وصلاح أحواله، استبشر، وشكر الله، ثمّ أدخلني داره وصدّرتني في مجلسه وجلس بين يدي، فأخرجت إليه كتابه عليه السلام، فقبّله قائماً وقرأه، ثمّ استدعى بهاله وثيابه، فقاسمني ديناراً ديناراً، ودرهماً درهماً، وثوباً ثوباً، وأعطاني قيمة ما لم يمكن قسمته، وفي كلّ شيء من ذلك يقول: يا أخي هل سررتك؟ فأقول: إي والله، وزدت على السرور، ثمّ استدعى العمل فأسقط ما كان باسمي وأعطاني براءة مما يتوجّه عليّ منه، وودّعته، وانصرفت عنه.

فقلت: لا أقدر على مكافأة هذا الرجل إلا بأن أحجّ في قابل وأدعوله وألقى الصابر عليه السلام وأعرّفه فعله، ففعلت، ولقيت مولاي الصابر عليه السلام، وجعلت أحدثه ووجهه يتهلّل فرحاً، فقلت: يا مولاي، هل سرّك ذلك؟ فقال: «إي والله، لقد سرّني وسرّ أمير المؤمنين، والله لقد سرّ جدّي رسول الله ﷺ، ولقد سرّ الله تعالى»^(١).

(١) قضاء حقوق المؤمنين: ٢٢ و ٢٣ / ح ٢٤، عنه بحار الأنوار ٤٨: ١٧٤ / ح ١٦.

٧٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

٤ - أن تكون بلا منة، فإنها من مبطلات العمل، يقول تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣).

ومن دعاء الإمام السجّاد عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: «وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيِّ الْخَيْرِ، وَلَا تَمَحِّقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ»^(١).

٥ - أن تكون سرّية مهما أمكن إلا إذا قصد من إظهارها تشجيع غيره على قضاء حوائج الإخوان، فإن خير الصدقة ما كانت سرّاً، فقد روي عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ صَدَقَةَ السَّرِّ فِي التَّطَوُّعِ تَفْضُلُ عِلَانِيَتِهَا بِسَبْعِينَ ضِعْفًا...»^(٢).

٦ - أن تبادر بها، ولا تُكَلِّفَ أَخَاكَ أَنْ يَسْأَلَ كَهَا إِذَا عَلِمْتَ بِهَا، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «لَا يُكَلِّفُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ الطَّلَبَ إِذَا عَرَفَ حَاجَتَهُ»^(٣).

* * *

(١) الصحيفة السجّادية (أبطيحي): ١١٠.

(٢) عوالي اللئالي ٢: ٧٢ / ح ١٨٩؛ مستدرک الوسائل ٧: ١٣٣ / ح (٣/٧٨٣٣).

(٣) كنز الفوائد: ٣٤.

الفصل الثالث:

كيف أتجنب منفرات القلوب؟

سُنَّة التَّغْيِيرِ فِي الْحَيَاةِ:

هذه الحياة..

بُنِيَتْ عَلَى قَانُونٍ لَا يَقْبَلُ التَّخْصِيصَ..

إِنَّهُ قَانُونٌ: التَّغْيِيرُ..

فكُلُّ مَا فِي الوجودِ الإمكانِ لَا ثَبَاتَ لَهُ..

وكَمَا قالُوا فِي الفِلسَفَةِ: لَا يوجَدُ ثابِتٌ إِلَّا قَانُونُ التَّغْيِيرِ!

وبنظرة عابرة للوجود يتبيّن لك صدق هذا الكلام، فالظروف

الجويّة دائمة التقلّب، والحضارات تموت وتُحْيى غيرها، والحجر - هذا

الذي نراه بأعيننا وكأنّه ثابت - أثبت علم الفيزياء أنّ جزيئاته دائمة

التحرّك وإن كانت بصورة بطيئة، والإنسان دائم التغيّر وإن كان يحسب

نفسه ثابتاً.

فالكون كلّهُ فِي حركة مستمرة وتغيّر دائم، ولولا ذلك لأصبحت

الحياة ممّلة ولا طعم لها، ولذا قالوا: إنَّكَ لَن تعرف طعم العافية حتّى

تذوق البلاء، ولن تعرف طعم الصّحة حتّى تتجرّع المرض، ولن تذوق

طعم الأمن حتّى تتوسّد الخوف!

فبهذا التغيّر المستمرّ يكون للحياة معنى!

هكذا أراد الله تعالى..

ولسنا الآن في صدد الإسهاب في هذه السُنَّة، إنّما نريد القول:

إنّ قلوب البشر تخضع لهذه السُنَّة، هي في حركة مستمرة، وتغيّر

الفصل الثالث: كيف أتجنب منغرات القلوب؟..... ٨١

دائم، ولذا نجد أن للقلوب صفات عديدة، كالتساوة والموت والحياة والتذلل والقوة والضعف والانتكاسة وغيرها^(١).

وفي هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مِثْلُ الْقَلْبِ مِثْلُ رِيْشَةِ بِالْفَلَاةِ تَعَلَّقَتْ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ»^(٢).

(١) يقول تعالى في سورة (الحديد: ١٦): ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وقال تعالى في سورة (الزمر: ٢٢ و ٢٣): ﴿أَفَمَنْ بَدَّعَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمْتِهِ بِالرَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَتَوَزَّرْهُ بِالْحُكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّزْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ...».

(نهج البلاغة: ٣٩٢/ ح ٣١).

وفي كتاب (معاني الأخبار: ٣٩٥ / ح ٥١): عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر أنور»، قلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئة السراج، وأمَّا المطبوع فقلب المنافق، وأمَّا الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه الله ﷻ شكر وإن ابتلاه صبر، وأمَّا المنكوس فقلب المشرك»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢]، أمَّا القلب الذي فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف وإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك وإن أدركه على إيمانه نجا».

وعلق المحقق على الفقرة الأخيرة بقوله: (المراد بالذي فيه إيمان ونفاق هو قلب من آمن ببعض ما جاء به النبي ﷺ ووجد بعضه، أو الشاك الذي يعبد الله على حرف).

(٢) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٣٩٧/ ح ٢٥٩٥.

٨٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

ونحن في صدد نوع من أنواع هذه الصفات للقلوب، وهي صفة: الإِدبار والإقبال، فهذا ما يتعلّق بموضوع بحثنا.

إقبال وإدبار القلوب

إنَّ لإقبال القلوب وإدبارها جانبين: جانباً مع الله تعالى، وجانباً مع البشر:

الجانب الأول: إقبال وإدبار القلوب مع الله تعالى:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًَ وَإِدْبَاراً، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ»^(١).

لقد خلق الله تعالى البشر على الفطرة، ومعه، فالمفروض أن تكون القلوب دائمة التعلّق بالله تعالى، ولا تنحرف عن طريق الفطرة، خصوصاً إذا علمنا أن الله تعالى يُحِبُّ البشر، وليس عنده عداوة مع أحد منهم لذاته. ومن هنا، فيمكن القول: إنَّ الحالة الأولى المفروضة للقلوب هي الإقبال على الله تعالى، ونحن لا نريد أن نبحت لماذا تقبل القلوب على الله تعالى؟ فإنَّها حالة صحيّة وغاية لكلِّ مؤمن، ولها أسبابها كما هو واضح.

إنَّما المهمُّ أن نبحت: لماذا تُدبر القلوب عن الله تعالى وتميل عن المنهج التوحيدي؟

فإنَّ هذه حالة مرضية، لا بدَّ من البحث عن أسبابها، حتَّى يتمكَّن من يريد الهداية من علاج نفسه لو وجد قلبه مدبراً عن الله تعالى.

(١) نهج البلاغة: ٥٣٠ / ح ٣١٢.

وهنا أمران ينبغي الالتفات إليهما:

١ - إن إدبار القلوب عن الله تعالى يعني فيما يعنيه أن الله تعالى معرض عن هكذا قلوب، وإعراضه تعالى عنها يعني سلب التوفيق منها.

٢ - حيث إن الحكم الأولي للبشر هو أنهم على الفطرة، فنستكشف من هذا أن إدبار القلوب يكون سببه من البشر أنفسهم، وأمّا من جهة الله تعالى فليس إلا الخير، ولعلّه إلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٩).

وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم... ما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذاك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني...»^(١).

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي: «تَتَحَبَّبُ إِلَيْنَا بِالنَّعْمِ وَتُعَارِضُكَ بِالذُّنُوبِ، خَيْرُكَ إِلَيْنَا نَازِلٌ وَشَرُّنَا إِلَيْكَ صَاعِدٌ، وَلَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَلَكٌ كَرِيمٌ يَأْتِيكَ عَنَّا بِعَمَلٍ قَبِيحٍ، فَلَا يَمْنَعُكَ ذَلِكَ مِنْ أَنْ نَحُوطَنَا بِنِعْمَتِكَ، وَتَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِالْآثَامِ، فَسُبْحَانَكَ مَا أَحْلَمَكَ وَأَعْظَمَكَ وَأَكْرَمَكَ مُبْدئًا وَمُعِيدًا، تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ...»^(٢).

من هنا، يمكن أن نجمل القول في أسباب إدبار القلوب عن الله تعالى، بأنها الذنوب. وقد أكدت الروايات الشريفة ذلك، يقول الإمام الصادق عليه السلام في ذلك: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً»^(٣).

(١) الكافي ١: ١٥٢ / باب المشيئة والإرادة / ح ٦.

(٢) الصحيفة السجادية (أبطيحي): ٢٢٠.

(٣) الكافي ٢: ٢٧١ / باب الذنوب / ح ١٣.

وأما تفصيل ذلك، فإنَّ أحسن مَنْ فَصَّلها هو الإمام السَّجَّاد عَلَيْهِ السَّلَام

في بعض فقرات دعائه المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي، حيث يقول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ وَتَعَبَّأْتُ وَفُئْتُ لِلصَّلَاةِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَنَاجَيْتُكَ، أَلْقَيْتَ عَلَيَّ نُعَاسًا إِذَا أَنَا صَلَّيْتُ، وَسَلَبْتَنِي مُنَاجَاةَكَ إِذَا أَنَا نَاجَيْتُ، وَمَا لِي كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ صَلَّحْتُ سَرِيرَتِي، وَقَرُبَ مِنِّي مَجَالِسِ التَّوَابِينِ مَجْلِسِي، عَرَضْتَ لِي بَلِيَّةٌ أَرَأَلْتُ قَدَمِي، وَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ خِدْمَتِكَ، سَيِّدِي لَعَلَّكَ عَنِّي بَابِكَ طَرَدْتَنِي، وَعَنِّي خِدْمَتِكَ نَحَيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُسْتَخْفًا بِحَقِّكَ فَأَقْصَيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُعْرَضًا عَنكَ فَقَلَيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ وَجَدْتَنِي فِي مَقَامِ الكَاذِبِينَ فَرَفَضْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي غَيْرَ شَاكِرٍ لِنِعْمَائِكَ فَحَرَمْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنِّي مَجَالِسِ العُلَمَاءِ فَحَذَلْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي فِي الغَافِلِينَ فَمِنِّي رَحْمَتِكَ آيَسْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي آلفُ مَجَالِسِ البَطَّالِينَ فَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ خَلَيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ لَمْ تُحِبَّ أَنْ تَسْمَعَ دُعَائِي فَبَاعَدْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ بَجُرْمِي وَجَرِيرَتِي كَافَيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ بِقِلَّةِ حَيَاتِي مِنِّي جَارَيْتَنِي...»^(١).

هذه الفقرات توحى لنا بعدة أسباب لإدبار القلب عن الباري جلَّ وعلا، فالله تعالى يسلب العبد التوفيق إذا رآه على بعض الأحوال التي ذكرها الإمام السَّجَّاد عَلَيْهِ السَّلَام، تلك الأحوال التي تُسبب الطرد الإلهي عن مقام الخدمة، «لَعَلَّكَ عَنِّي بَابِكَ طَرَدْتَنِي، وَعَنِّي خِدْمَتِكَ نَحَيْتَنِي»، ولكن، لماذا يطرد العبد ويسلب التوفيق ويجعل قلبه مدبراً؟

يذكر الإمام عَلَيْهِ السَّلَام عدَّة أسباب لذلك، وبالتدبر نجد أنَّ هذه الأسباب التي ذكرها الإمام عَلَيْهِ السَّلَام هي أسباب تراتبية، بمعنى أنَّ أحدها

(١) الصحيفة السَّجَّادية (أبوظبي): ٢٢٢.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منفرات القلوب؟..... ٨٥

يؤدّي إلى الآخر، وهكذا فهي سلسلة من الأسباب مترابطة فيما بينها، وبالتالي فمن أراد الابتعاد عن منفرات القلب وما يجعله مدبراً عن الله تعالى، فعليه أن يبدأ بأول هذه الأسباب فينفيها عن قلبه، ثم يستمرّ بنفيها واحداً تلو الآخر.

وتلك الأسباب هي:

السبب الأوّل: الاستخفاف بحقوق الله تعالى:

«لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُسْتَخْفًا بِحَقِّكَ فَأَقْصَيْتَنِي»:

إنّ الله تعالى علينا حقوقاً لا تُعدُّ ولا تُحصى، فله علينا حقُّ الخلق والرزق والعافية والقدرة والعلم والإرادة و...، ولا يمكن لأحد أن يُحصي حقوقه جلّ وعلا، ولكن الرحمة الإلهية أبت إلا تسهياً للعباد، وحتىّ يكون بمقدور العبد أن يؤدّي بعض تلك الحقوق، فقد شرّع الله تعالى حقوقاً هي تحت وأقلّ من قدرة الإنسان، وأمره أن يلتزمها، وأخذ الله تعالى على العباد أن يؤدّوها، وبالتالي يكون التارك لبعضها مستخفاً بأقلّ حقوق الله تعالى.

وأهمّ تلك الحقوق هي:

أولاً: الحقوق العبادية:

كالصلاة والصوم وبقية العبادات، فالمطلوب أولاً وبالذات أن يؤدّيها الإنسان في أوقاتها المخصّصة لها، وأيُّ تقصير في ذلك - من دون عذر مشروع - يعني الاستخفاف.

عن سيّدة النساء فاطمة عليها السلام ابنة سيّد الأنبياء ﷺ أنّها سألت

أباها محمداً ﷺ فقالت: «يا أبتاه، ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟». .

٨٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

قال: «يا فاطمة، من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ستّ منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره.

فأمّا اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله بِكَلِمَةٍ سيئات الصالحين من وجهه، وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظّ في دعاء الصالحين.

وأمّا اللواتي تصيبه عند موته فأولهنّ أنه يموت ذليلاً، والثانية يموت جائعاً، والثالثة يموت عطشاناً، فلو سُقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه.

وأمّا اللواتي تصيبه في قبره فأولهنّ يوكل الله به ملكاً يُزعجه في قبره، والثانية يُضيّق عليه قبره، والثالثة تكون الظلمة في قبره.

وأمّا اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره فأولهنّ أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية يُحاسب حساباً شديداً، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يُزيّيه وله عذاب أليم»^(١).

ثانياً: الحقوق المالية:

وهي الخمس والزكاة وزكاة الفطرة، ويدخل فيها الكفّارات التي تترتّب على مخالفة أمر شرعي، فإنّ بعض المخالفات الشرعية تترتّب عليها كفّارة مالية، ولا يكفي الندم عن أداء تلك الكفّارة.

ومنّها أيضاً النفقات التي افترضها الله تعالى عليك أنّجاه بعض الأفراد، كالزوجة والأولاد والأبوين - مع فقرهما وغناك -، بل

(١) فلاح السائل: ٢٢، عنه بحار الأنوار ٨٠: ٢١ و٢٢ / ح ٣٩.

الفصل الثالث: كيف أتجنّب منقّرات القلوب؟..... ٨٧

والحيوانات المملوكة لك، حيث حكم الفقهاء بعدم جواز تركها بلا طعام حتّى تهلك...^(١).

(١) وحتّى تتمّ الفائدة نقل مختصراً وبتصرّف قليل أحكام النفقات حسب رأي السيّد السيستاني (دام ظلّه):

النفقات الواجبة:

أولاً: الزوجة:

أ - وجوب النفقة مشروط بـ:

١ - أن تكون الزوجة دائمة.

٢ - لا نفقة للناشر، وهي التي تمتنع من فراش الزوجية، لا لعذر شرعي.

٣ - لا نفقة للصغيرة غير المدخول بها، ولا للزوجة في فترة الخطوبة - وإن عقد عليها شرعاً - إذا كان المتعارف هو عدم النفقة، كما لعله الحاصل اليوم عندنا.

ب - المطلقة، إذا كانت رجعية فتجب نفقتها فترة العدة، وإن كانت بائنة، فإن كانت حاملاً وجبت نفقتها إلى أن تضع حملها، وإلا لم تجب.

ج - ومعنى النفقة هنا هو ما يقيم ظهر الزوجة، ويشمل:

١ - المسكن، والمرأة لا تملك مسكن زوجها.

٢ - الملابس، وهي تملكها، فلها أن تتصرّف بها كيفما شاءت.

٣ - المأكل، وهنا تملك مقدار حاجتها لكلّ يوم بيومه لا أكثر.

٤ - تستحقّ عليه نفقات التنظيف - كالحمام إذا احتاجت إليه - والأدوية الضرورية ومصاريف الولادة.

٥ - أثاث البيت، ولكنّها لا تملكه.

د - لا يجوز للزوجة أن تطالب بنفقة أسبوع أو شهر مستقبلاً، ولكن يجوز لها أن تُسقط نفقتها الحاضرة والمستقبلية فضلاً عن الماضية.

هـ - تقدير النفقة عرفي، أي كلّ شخص بحسبه.

و - النفقة واجبة حتّى إذا كانت الزوجة غنيّة.

ثانياً: القرابة: أي الآباء والأبناء:

أ - وهذه مشروطة بغنى الأب وفقر الابن، وبالعكس، فلو كان الأب غنيّاً، أي يملك قوت يومه، فلا يجب على الولد نفقته، وهكذا العكس.

↵

ثالثاً: النواهي:

فإنَّ حقَّ الله تعالى عليك أن تهرب منها ولا تتقرَّب إليها بأيِّ حالٍ من الأحوال، كالغيبية والنميمة وظنُّ السوء بالمؤمن وغيرها.

ورد في رواية جابر، عن الباقر عليه السلام، قال: أتاه رجل فقال له: وقعت فارة في خابية فيها سمن أو زيت، فما ترى في أكله؟ قال: فقال له أبو جعفر عليه السلام: «لا تأكله»، قال: فقال له الرجل: الفارة أهون عليَّ من

⇒ ب - لا يجب على الأب تزويج الابن.

ج - النفقة على القريب مشروطة بالقدرة على النفقة على النفس والزوجة، فإن زاد وجبت نفقة الأقارب.

د - لا تجب النفقة على الإخوة ولا على زوجة الأب ولا على زوجة الابن. نعم، تجب النفقة على أولاد الأولاد.

هـ - فائدة: لو كان للولد أموال، من هدية أو هبة أو استحقتها لدية ضرب وما شابه، فيمكن للوالد أن يصرفها عليه، لأنَّ الولد والحال هذه غنيٌّ، فيصرف عليه من أمواله، بشرط أن تكون الحاجة ضرورية وليس فيها مفسدة على الولد، وينوي حين الصرف أنَّها من أموال الولد ولو ارتكازاً.

ثالثاً: المملوك:

فيجب الإنفاق على الحيوان المملوك أو بيعه أو هبته أو ذبحه، فلا يجوز حبس الحيوان - مملوكاً أو لا - حتَّى يموت.

رابعاً: الاضطرار:

إذا اضطرَّ شخص إلى طعام غيره لإنقاذ نفسه من الهلاك أو ما يدانيه، وكان المالك حاضراً، ولم يكن مضطراً إليه، وجب عليه بذله له.

نعم، له الحقُّ بالمطالبة بالعوض فيما إذا كان المضطُّ عاجزاً الآن.

ولو كان كلُّ من الطرفين مضطراً لم يجب على المالك الإيثار، ولكنَّه يجوز له ذلك في بعض الموارد.

وإذا توقفت صيانة الدين وأحكامه ونواميس المسلمين على بذل شخص، وجب عليه ذلك، ولا يجوز له المطالبة بعوض. وإذا توقَّف الدين على بذل النفس وجب.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ٨٩

أن أترك طعامي من أجلها. قال: فقال له أبو جعفر عليه السلام: «إِنَّكَ لَمْ تَسْتَخَفَّ بِالْفَارَةِ وَإِنَّمَا اسْتَخَفْتَ بِدِينِكَ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْمَيْتَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

رابعاً: تعظيم ما نُسِبَ إليه جَلَّ وعلا من موجودات:
كالأنبياء، والأئمّة^(٢)، والأولياء^(٣).
وكالبيت الحرام^(٤).

(١) تهذيب الأحكام ١: ٤٢٠ / ح (٤٦/١٣٢٧).

(٢) ومن الاستخفاف بالأئمّة عليهم السلام الاستخفاف بشيعتهم ومحبيهم، وهو استخفاف في الوقت نفسه بحق من حقوق الله تعالى، ففي الكافي ٨: ١٠٢ / ح ٧٣: عن صالح بن عقبة أبي هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لنفر عنده وأنا حاضر: «ما لكم تستخفون بنا؟»، قال: فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك. فقال: «بلى إِنَّكَ أَحَدٌ مِنْ اسْتَخَفَّ بِي»، فقال: معاذ لوجه الله أن أستخف بك، فقال له: «ويحك أَوَلَمْ تَسْمَعْ فَلاناً وَنَحْنُ بِقَرْبِ الْجَحْفَةِ وَهُوَ يَقُولُ لَكَ: احْمَلْنِي قَدْرَ مِيلٍ فَقَدْ وَاللَّهِ أَعْيَيْتُ؟ وَاللَّهِ مَا رَفَعَتْ بِهِ رَأْساً، وَلَقَدْ اسْتَخَفَّتْ بِهِ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِمَوْءِنٍ فِينَا اسْتَخَفَّ وَضِيعَ حَرَمَةِ اللَّهِ ﷻ».

(٣) في الكافي ٢: ٣٥٣ / باب من آذى المسلمين واحتقرهم / ح ١٠: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أُسْرِيَ رَبِّي بِي، فَأَوْحَى إِلَيَّ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَا أَوْحَى، وَشَافَهَنِي...، إِلَى أَنْ قَالَ لِي: «يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِيّاً فَقَدْ أَرَصَدَنِي بِالْمَحَارِبَةِ، وَمَنْ حَارَبَنِي حَارِبَتَهُ، قُلْتُ: يَا رَبِّ، وَمَنْ وَلِيَّكَ هَذَا؟ فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مَنْ حَارَبَكَ حَارِبَتَهُ، قَالَ لِي: ذَلِكَ مِنْ أَخَذَتْ مِيثَاقَهُ لَكَ وَلَوْ صَبَّكَ وَلَذَرَيْتَكُمَا بِالْوَلَايَةِ».

ولذا ورد النهي عن إهانة أي مؤمن، إذ لعلّه يكون ولياً من أولياء الله تعالى، قال الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى... أَخْفَى وَلِيَّهُ فِي عِبَادِهِ، فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ، فَرَبِّمَا يَكُونُ وَلِيَّهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ». (الخصال: ٢٠٩ و ٢١٠ / ح ٣١).

(٤) ويشمل تعظيم البيت الحرام الأمور التالية:

أ - الإلحاد في الحرم، ففي الكافي ٤: ٢٢٧ / باب الإلحاد بمكة والجنائيات / ح ٣: عن أبي الصباح الكناني، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ

وكشهر رمضان^(١).

⇒ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ [الحج: ٢٥]، فقال: «كُلُّ ظَلَمٍ يَظْلِمُهُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ بِمَكَّةَ مِنْ سَرَقَةٍ أَوْ ظَلَمَ أَحَدٌ أَوْ شَيْءٌ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنِّي أَرَاهُ إِلْحَادًا»، ولذلك كَانَ يَتَّقِي أَنْ يَسْكُنَ الْحَرَمَ.

ب - عدم التعدي على أي شخص في الحرم المكي حتى لو كان مجرمًا. نعم، يُقَطَّعُ عَنْهُ الطَّعَامُ، حَتَّى يَضْطَرَّ لِلخُرُوجِ فَيُؤَخَذُ، ففي الكافي ٤: ٢٢٧ و ٢٢٨ / باب الإلحاد بمكة والجنائيات / ح ٤: عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قتل رجلاً في الحل ثم دخل الحرم، فقال: «لَا يُقْتَلُ وَلَا يُطْعَمُ وَلَا يُسْقَى وَلَا يُبَاعُ وَلَا يُؤْوَى حَتَّى يُخْرَجَ مِنَ الْحَرَمِ فَيُقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ»، قلت: فما تقول في رجل قتل في الحرم أو سرق؟ قال: «يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِي الْحَرَمِ صَاغِرًا، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلْحَرَمِ حَرَمَةً، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]»، فقال: «هَذَا هُوَ فِي الْحَرَمِ»، فقال: «﴿لَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾» [البقرة: ١٩٣].

ج - لا يجوز قتل أي حيوان في الحرم - إلا إذا كان مؤذياً وخاف المحرم على نفسه -، ولا قلع الشجر، كما هو مذكور في محرمات الحرم من كتاب الحج في الرسائل العملية.

د - لا يجوز الدخول إلى الحرم المكي من دون إحرام.

هـ - لا يجوز التخلي مستقبلاً ولا مستدبراً القبلة على الأحوط وجوباً. وللتفاصيل راجع: الذنوب الكبيرة لدستغيب ٢: ٣١٢ - ٣١٦ / الفصل الثالث: فيما كان معظماً في نفوس أهل الشرع: هتك الكعبة.

و - حكم بعض الفقهاء بحرمة لقطة الحرم، وبعض بكرائها، والسيد السيستاني على الثاني.

(١) وحرمة تعني صيامه، وعدم إحداث أي ذنب فيه، وتجديد التوبة فيه، وإجهاد النفس فيه بما يرضي الله تعالى، وعدم تسميته برمضان، بل شهر رمضان، كما في الرواية الشريفة عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «لَا تَقُولُوا: هَذَا رَمَضَانَ، وَلَا ذَهَبَ رَمَضَانَ، وَلَا جَاءَ رَمَضَانَ، فَإِنَّ رَمَضَانَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ سبحانه لَا يَجِيءُ وَلَا يَذْهَبُ، وَإِنَّمَا يَجِيءُ وَيَذْهَبُ الزَّائِلُ، وَلَكِنْ قُولُوا: شَهْرُ رَمَضَانَ...». (الكافي ٤: ٦٩ و ٧٠ / باب في النهي عن قول: (رمضان)...) / ح ٢).

وقراءة عابرة لخطبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان، ودعاء الإمام السجاد عليه السلام في وداعه، تكشف الكثير من حقائق هذا الشهر العظيم.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ٩١

وكتاب الله تعالى القرآن الكريم^(١).

وكمساجد الله تعالى^(٢)، فقد ورد عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلة في تعظيم المساجد، فقال: «إنما أمر بتعظيم المساجد لأنّها بيوت الله في الأرض»^(٣).

والمشاهد المشرفة للمعصومين بحكم المساجد من حيث الحرمة^(٤)، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى

(١) يجب تعظيم القرآن الكريم، ولا يجوز هتك حرمة بأيّ شكل من الأشكال، فلا يجوز كتابته بحبر نجس، ولا يجوز إعطاؤه للكافر، ولا يجوز مسّ كتابته إلّا بطهور، وإذا وقع - لا سمح الله - في بيت الخلاء وجب إخراجه فوراً ولو بصرف الكثير من الأموال، وإن لم يمكن ذلك حرم التخلّي في ذلك المكان. ولمزيد توضيح راجع: الذنوب الكبيرة ٢: ٣١٠ / الفصل الثالث: فيما كان معظماً في نفوس أهل الشرع: هتك القرآن. ويُضاف إلى ذلك أمور، منها: تعاهد القرآن بالقراءة، وتعليمه للأولاد، والاستماع إلى تلاوته، وغيرها ممّا هو مذكور في محله.

(٢) وتشمل حرمتها التالي:

أ - لا يجوز تنجيس المسجد، ويجب تطهيره لو تنجّس.

ب - يحرم توقّف الحائض والنفساء والمجنب في المسجد، إلّا إذا أراد المرور والدخول من باب والخروج من آخر، إلّا المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وآله فلا يجوز حتّى المرور.

(٣) علل الشرائع ٢: ٣١٨ / باب ٤ / ح ١.

(٤) في تهذيب الأحكام ٦: ٢٢ / ح (٧/٥٠): عن أبي عامر الساجي واعظ أهل الحجاز، قال: أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، فقلت له: يا بن رسول الله، ما لمن زار قبره - يعني أمير المؤمنين - وعمّر تربته؟ قال: «يا أبا عامر، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن عليّ، عن عليّ عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: والله لتقتلنّ بأرض العراق وتُدفن بها، قلت: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمّرهما وتعاهدّها؟ فقال لي: يا أبا الحسن، إنّ الله جعل قلوب قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتهما، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحنّ إليكم وتحتمل المذلّة والأذى فيكم، فيعمّرون قبوركم ويكثرّون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله [و]مودّة منهم لرسوله، أولئك يا عليّ المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري غدّاً صلى الله عليه وآله

٩٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

الْقُلُوبِ ﴿٣٣﴾ (الحج: ٣٢).

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله حرّمت ثلاثاً، من حفظهنَّ حفظ الله له أمر دينه ودينه، ومن لم يحفظهنَّ لم يحفظ الله له شيئاً: حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة عترتي»^(١).

وعن ابن عباس، قال: (إنَّ الله ﷻ حرّمت ثلاثاً ليس مثلهنَّ شيء: كتابه وهو نوره وحكمته، وبيته الذي جعله للناس قبلة لا يقبل الله من أحد وجهاً إلى غيره، وعترته نبيكم محمد ﷺ)^(٢).

خامساً: تعظيم أسماء الله تعالى:

قال أمير المؤمنين ع: «... وَعَظَّمِ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَىٰ حَقٍّ...»^(٣). ويشمل هذا:

أ - عدم ذكر لفظ الجلالة ولا كتابته مجرداً، بل (كلّما كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتعظيم، مثل: تعالى، أو سبحانه، أو عزّ وجلّ، أو تقدّس، ونحو ذلك، ويتلفّظ بذلك أيضاً)^(٤).

⇒ في الجنّة. يا عليّ، من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنّها أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتّى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه، فأبشّر وبشّر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يُعيّرون زوّار قبوركم بزيارتكم كما تُعيّر الزانية بزناها، أولئك شرار أمّتي، لا نالهم شفاعتي، ولا يردون حوضي».

(١) الخصال: ١٤٦ / ح ١٧٣.

(٢) الخصال: ١٤٦ / ح ١٧٤.

(٣) نهج البلاغة: ٤٥٩ / ح ٦٩.

(٤) منية المرید للشهيد الثاني: ٣٤٦.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ٩٣

ب - عدم الحلف بالله تعالى ولو صادقاً، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، فإنّه عليه السلام يقول: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]»^(١).

وعن أبي بصير، قال: حدّثني أبو جعفر عليه السلام «أنّ أباه كانت عنده امرأة من الخوارج - أظنّه قال: من بني حنيفة -، فقال له مولى له: يا ابن رسول الله، إنّ عندك امرأة تبرا من جدّك، فقضى لأبي أنّه طلقها، فادّعت عليه صداقها، فجاءت به إلى أمير المدينة تستعديه، فقال له أمير المدينة: يا عليّ، إمّا أن تحلف وإمّا أن تعطيها [حقّها]. فقال لي: قم يا بنيّ فاعطها أربعمئة دينار، فقلت له: يا أبة، جُعلت فداك، ألسنت محقّقاً؟ قال: بلى يا بنيّ، ولكنّي أجللت الله أن أحلف به يمين صبر»^(٢).

وأمّا إذا كان كاذباً فهو حرام، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قال العبد: علم الله، وكان كاذباً، قال الله عليه السلام: أمّا وجدت أحداً تكذب عليه غيري؟»^(٣).

ومن وصيّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام: «يا عليّ، لا تحلف بالله كاذباً ولا صادقاً من غير ضرورة، ولا تجعل الله عرضة ليمينك، فإنّ الله لا يرحم ولا يرعى من حلف باسمه كاذباً»^(٤).

ج - عدم سبّ الله تعالى^(٥)، وهذه وإن كانت غريبة عندما

(١) الكافي ٧: ٤٣٤ / باب كراهيّة اليمين / ح ١.

(٢) الكافي ٧: ٤٣٥ / باب كراهيّة اليمين / ح ٥.

(٣) الكافي ٧: ٤٣٧ / باب آخر من اليمين الكاذبة / ح ٢.

(٤) تحف العقول: ١٤.

(٥) في الفتاوى الميسرة للسيد السيستاني (ص ٤١٩): السؤال: عند وقوع مشاجرة كلامية ⇐

٩٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

نذكرها، ولكن مع الأسف نجد الكثير من الجهلة والمستخفين بحق الله تعالى يتجاوزون الحدود ويسبّون الله تعالى، في الوقت الذي يتحرّزون من شتم شخص ذي منصب أو سلطة، بل يتحرّزون من سبّ إنسان عادي إذا كان هو أو أحد ولده موجوداً!

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

إننا في بعض الأحيان نسمع من يشتم الله تعالى ويسبّه - والعياذ بالله -، لكن بصورة ربّما غير واضحة وغير مقصودة، فينبغي تنبيه الغافل عنها، كمن يشتم ربّ سيّارته مثلاً! أو يشتم ربّ ماكنة قد أزعجته! وهكذا، وقد نسي أنّ ربّ كلّ شيء هو الله تعالى، لذا ينبغي الالتفات إلى ذلك.

وليكن معلوماً أنّ سبّ رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هو سبّ الله تعالى، فقد ورد أنّه مرّ ابن عباس بنفر يسبّون عليّاً، فقال: أيكم السابُّ لله؟ فأنكروا، قال: فأأيكم السابُّ لرسول الله؟ فأنكروا، قال: فأأيكم السابُّ عليّاً؟، قالوا: فهذا نعم، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله عجزك فقد كفر»^(١).

→ يتلفّظ بعض الأشخاص - للأسف - بألفاظ معناها الكفر بالله سبحانه وتعالى، كما يتلفّظون بما لا يليق بالمعصومين، وهم غير جادّين فيما يقولون، فهل يجب أن يقام عليهم الحدّ لذلك؟ الجواب: ما داموا غير جادّين ولا قاصدين لما يقولون، فلا يقام عليهم الحدّ الشرعي، وإنّما يستحقّون التعزير.

السؤال: ولو كانوا جادّين قاصدين في سبّهم لله ﷻ، أو للنبي ﷺ، أو للأئمّة، أو للدين، أو للمذهب، وقاصدين ذلك بإصرار منهم عليه؟ الجواب: حكمهم القتل.

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٢١.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ٩٥

د - تعظيم أسمائه جلّ وعلا عند المناشدة بها، والاستجابة للمناشدة إذا كانت بحقه جلّ وعلا، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً من بنى فهد وهو يضرب عبداً له، والعبد يقول: أعوذ بالله، فلم يقلع الرجل عنه، فلما أبصر العبد برسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أعوذ بمحمّد، فأقلع الرجل عنه الضرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يتعوذ بالله فلا تعيذه، ويتعوذ بمحمّد فتعيذه؟! والله أحقّ أن يُجار عائده من محمّد، فقال الرجل: هو حرٌّ لوجه الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحقّ نبياً لو لم تفعل لواقع وجهك حرُّ النار»^(١).

ومع الأسف نجد البعض عندما تناشده بحقّ أيّيه أو بحقّ شخص عزيز عليه، فإنّه يبرُّ لك تلك المناشدة، ولكنك حينها تناشده بحقّ الله تعالى فلا تجد أيّ أثر لتلك المناشدة!

طبعاً لا نعني لزوم ذلك حتّى إذا كانت المناشدة من أجل أمر باطل أو مرجوح، وإنّما إذا كان من أجل مسألة شخصية أو من أجل حلّ مشكلة دنيوية وما شابه.

هـ - عدم مسّ لفظ الجلالة إلّا بطهور، وحرمة تنجيسه. من هنا يجب الالتفات إلى بعض الملابس التي يُكتَب عليها لفظ الجلالة أن لا تُغسل بالماء المتنجّس مع الملابس المتنجّسة. كذلك يُكتَب على بعض المسابح لفظ الجلالة، فلا يجوز مسّها بغير طهارة شرعية، (وضوء أو غُسل مجزي عن الوضوء).

و - إذا كان لفظ الجلالة مكتوباً في ورقة، يجري عليها حكم القرآن الكريم، من لزوم الطهارة - كما تقدّم - وحرمة التنجيس. من

(١) كتاب الزهد لحسين بن سعيد: ٤٤ و ٤٥ / ح ١١٩، عنه بحار الأنوار ١٦: ٢٨٢ / ح ١٢٧.

٩٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

هنا يجب الالتفات إلى أن الدفاتر والأوراق التي فيها لفظ الجلالة، وكالمصقات الدعائية التي فيها مثلاً البسمة أو العلم العراقي الذي فيه لفظ الجلالة وما شابه، لا يجوز حرقها، وإنما الحلُّ فيها إمَّا أن تمسح لفظ الجلالة، وإمَّا أن تُقطَّعها بحيث تصبح كالطحين، وإمَّا أن تدفنها، وإمَّا أن ترميها في نهر. والخلاصة يجب أن تبقى بعيدةً عن الانتهاك والتنجيس.

ومن هنا نرى الناس المتقين لا يكتبون لفظ الجلالة في ورقة يمكن أن تُطرح، وإنما يكتبونه هكذا: (...)، فينبغي لنا التزام هذه الطريقة^(١).
إن انتهاك أيِّ حقٍّ من هذه الحقوق الإلهية، إذا لم تستتبعه توبة نصوحة وسريعة، فإن إدبار القلب سيكون وارداً جداً، وبالتالي سيعيش العبد حالة من الجفاف الروحي، نسأل الله تعالى أن لا يرينا إيَّها.

السبب الثاني: الإعراض عن الله تعالى:

«لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُعْرِضاً عَنْكَ فَقَلَيْتَنِي»:

إن الاستخفاف بحقِّ الله تعالى سيكون مقدِّمة للإعراض عن ذكره جلَّ وعلا، فإنَّ الإنسان أولاً يستخفُّ بحقِّ من الحقوق، فلا يذكره في ذلك، فيؤدِّي ذلك إلى أن يعرض العبد عن ربِّه، ولا يجعله بين عينيه في أفعاله وحركاته وسكناته، وبالتالي سيبتج هذا الإعراض ما قال عنه القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً

(١) في الفتاوى الميسرة للسيد السيستاني (ص ٤١٩): السؤال: يرمي الناس الجرائد والمجلات وبعض الكتب المحترمة في أماكن تُجمَع النفايات برغم احتوائها على بعض الآيات القرآنية أو أسماء الله سبحانه وتعالى؟ الجواب: لا يجوز ذلك، ويجب رفعها من تلك الأمكنة وتطهيرها إذا أصابها شيء من النجاسة.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منفّرات القلوب؟..... ٩٧

وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ (طه: ١٢٤ - ١٢٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾، أي من تعامى عن ذكر الرحمن ونظر إليه نظر الأعشى جئنا إليه بشيطان، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦)، أي مصاحب لا يفارقه. وقال الإمام عليّ عليه السلام: «من نسي الله سبحانه أنساه نفسه، وأعمى قلبه»^(١).

وفيما ناجى الله تعالى موسى عليه السلام: «يا موسى، لا تسني على كلِّ حال، ولا تفرح بكثرة المال، فإن نسياني يُقسى القلوب، ومع كثرة المال كثرة الذنوب»^(٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال إبليس: يا رب، ليس أحد من خلقك إلا جعلت لهم رزقاً ومعيشةً، فما رزقي؟ قال: ما لم يُذكر عليه اسمي»^(٣). إن الله تعالى قد أخذ على نفسه أن ينظر بعين الرحمة إلى عباده على الدوام، وأن يفيض نعمه باستمرار، فإنَّ لله تعالى في أيام دهرنا نفحات وفيوضات، ولكن تلك النفحات والنعم إنما تنزل على محلّ قابل لها، وبقدر استعداد القلوب لنفحات الله تعالى ستكون الإفاضة، لا لبخل في ساحة الله تعالى، ولكن لعدم قدرة القلب على أكثر من سعته، يقول تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد: ١٧).

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٤٥٨.

(٢) الكافي ٨: ٤٥ / ح ٨.

(٣) كنز العمال ١: ٤٤٤ / ح ١٩١٧.

٩٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

المفارقة الغريبة هنا، هي أنه وإن كان الله تعالى دائماً في إنزال النعم والنفحات على البشر، ولكن بعض البشر يعرض متعمداً بوجهه عنه تعالى، ولسان حاله: «خَيْرُكَ إِلَيْنَا نَازِلٌ، وَشَرُّنَا إِلَيْكَ صَاعِدٌ»^(١).

وهنا، سيقع الإنسان في مصيدة الشيطان، ويتعرَّض للإبعاد الإلهي! ممَّا يُسبب إدبار القلب عن الله تعالى.

ولكن، كيف يتمُّ الإعراض عن الله تعالى؟

إنَّ للإعراض صوراً متعدّدة، نذكر منها:

١ - ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾؟ قال: «يعني به ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»، قلت: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(١٢٤)؟ قال: «يعني أعمى البصر في الآخرة، أعمى القلب في الدنيا، عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»، قال: «وهو متحير في القيامة يقول: ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا»، قال: «الآيات الأئمة عليهم السلام، ﴿فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(١٢٦) [طه: ١٢٤ - ١٢٦]، يعني تركتها وكذلك اليوم تُترك في النار كما تركت الأئمة عليهم السلام، فلم تُطع أمرهم ولم تسمع قولهم»^(٢).

٢ - ترك الحجّ مع القدرة عليه، فعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من مات وهو صحيح موثر لم يحجّ فهو ممن قال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(١٢٤) [طه: ١٢٤]»، قال: قلت: سبحان الله أعمى! قال: «نعم، أعماه الله عن طريق الحقّ»^(٣).

(١) الصحيفة السجّادية (أبطيحي): ٢٢٠.

(٢) الكافي ١: ٤٣٥ و٤٣٦ / باب فيه نكت ونتف من التنزيل... / ح ٩٢.

(٣) الكافي ٤: ٢٦٩ / باب من سوف الحجّ وهو مستطيع / ح ٦.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ٩٩

٣ - ولعلّ أوضح مصاديق الإعراض هو الإعراض اللساني،
فربّما تمرُّ على المرء أيام عديدة وهو لا يفتح القرآن، أو لا يدعو بدعاء.

٤ - وأشدُّ صور الإعراض عنه تعالى هو الإعراض العملي، عندما يعيش
المرء بعيداً عن الأوامر الإلهية، ولا يقيم لها وزناً في تصرّفات وأفعاله، متناسياً ما
نُسبَ لأمر المؤمنين عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله»^(١).

السبب الثالث: الدخول في مقام الكاذبين:

«لَعَلَّكَ وَجَدْتَنِي فِي مَقَامِ الْكَاذِبِينَ فَرَفَضْتَنِي»:

إنّ من استخفَّ بحقوق الله تعالى، وأدّى ذلك به إلى أن يعرض
عنه تعالى، بالتالي سيكون في مقام الكاذبين، لأنّه أكيداً لا يُظهِر هذا
الاستخفاف والإعراض، وإنّما يدّعي أنّه من المؤدّين للحقوق
والذاكرين لله تعالى، وهذه أولى مراتب الكذب، فإذا استمرَّ بهذا الكذب
مرّة ومرّتين وثلاثة، حينئذٍ سيكتبه الله تعالى في الكاذبين، وهذا ممّا يؤدّي
إلى إدبار القلب عن الله تعالى.

يقول جلّ وعلا: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا
أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة: ٧٧).

وروي عن رسول الله الأعظم عليه السلام: «لا يزال العبد يكذب وتنكت في
قلبه نكتة سوداء حتّى يسودّ قلبه كلّهُ، فيُكتب عند الله من الكاذبين»^(٢).

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «يكتسب الكاذب بكذبه ثلاثاً: سخط الله
عليه، واستهانة الناس به، ومقت الملائكة له»^(٣).

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني ٣: ٨٣.

(٢) الاستذكار لابن عبد البرّ ٨: ٥٧٥ / ح ١٨٦٣.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٥٥٠.

١٠٠ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

إنَّ أوَّل ما يترتَّب على الكذب هو خروج الإنسان عن مقام الإخلاص، الإخلاص الذي يُعتَبَر شرطاً أساسياً في العلاقة مع الله تعالى، فأَيُّ عمل لا إخلاص فيه فإنَّ قبوله محلَّ شكٍّ، إن لم نقل: إنَّ الروايات الشريفة قد صرَّحت بعدم القبول!

وبعد هذا، سيقع المرء في عدَّة مفردات للكذب، نذكر منها:

أولاً: مخالفة القول بالعمل والعمل القول، فإنَّه قد ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٣).

ثانياً: عدم إخلاص التوبة، فلرُبَّ تائب قد نكث توبته، فما أن يُعلن توبته أمام الله ربِّ العالمين، وإذا به يقع في أوَّل اختبار ويسقط في أوَّل ابتلاء! يقول الإمام السجَّاد عليه السلام في دعائه في ذكر التوبة وطلبها: «اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ تَابَ إِلَيْكَ وَهُوَ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ فَاسْخُحْ لِتَوْبَتِهِ وَعَائِدْ فِي ذَنْبِهِ وَخَطِيئَتِهِ...»^(١).

ثالثاً: خلف الوعد، فإنَّه مصداق واضح للكذب، ولذا تجد أنَّ الوفاء بالوعد كان سمة الصالحين على مرِّ العصور، فقد روي أنَّه قال أبو الحميساء: بايعت النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يُبعث، فواعدته مكاناً، فنسيته يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث، فقال عليه السلام: «يا فتى، لقد شققت عليّ، أنا هاهنا منذ ثلاثة أيام»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعد رجلاً إلى الصخرة، فقال: أنا لك هاهنا حتَّى تأتي»، قال: «فاشتدَّت الشمس عليه، فقال له أصحابه: يا رسول الله، لو أنَّك تحوَّلت إلى الظلِّ، قال: قد

(١) الصحيفة السجَّادية (أبطيحي): ١٥٤.

(٢) مكارم الأخلاق للطبرسي: ٢١، عنه بحار الأنوار ١٦: ٢٣٥ / ح ٣٥.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٠١

وعدته إلى هاهنا، وإن لم يجيء كان منه المحشر»^(١).

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه: «أتدري لِمَ سُمِّي إسماعيل صادق الوعد؟»، قال: قلت: لا أدري، قال: «وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره»^(٢).

وقد اعتبرت الروايات الشريفة أنّ الوعد أولاً هو مع الله تعالى، وبالتالي فخلفه هو خلف الله تعالى أولاً، فعن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عِدَّة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ، ولمقته تعرّض، وذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ [الصف: ٢ و ٣]»^(٣).

هذا..

وقد وردت تعليقات مهمّة في الوعد، نذكر منها:

أ - ضرورة أن لا يعد المرء ما يعرف من نفسه عدم قدرته عليه، حتّى لا يقع في خلف الوعد، فعن الإمام علي عليه السلام: «لا تعدنّ عِدَّة لا تثق من نفسك بإنجازها»^(٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تعدنّ أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه»^(٥).

ب - إنَّ خلف الوعد لا يصدق على من نوى الوفاء ولم يقدر

(١) علل الشرائع ١: ٧٨ / باب ٦٧ / ح ٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٨٥ / ح ٩.

(٣) الكافي ٢: ٣٦٣ و ٣٦٤ / باب خلف الوعد / ح ١.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٥١٩.

(٥) تحف العقول: ٣٦٧.

١٠٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

لعارض، فعن رسول الله الأعظم ﷺ: «ليس الخلف أن يَعِدَ الرجل ومن نَيْتَه أن يفي، ولكن الخلف أن يَعِدَ الرجل ومن نَيْتَه أن لا يفي»^(١).

لذا ينبغي دراسة ما يحيط بالوعد دراسة تُنجيك من الوقوع في الحرج!

ج - ضرورة الوفاء بالوعد حتّى للصبيان، فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «إذا وعدتم الصغار فأوفوا لهم، فإنهم يرون أنّكم أنتم الذين ترزقونهم، وإنّ الله ﷻ لا يغضب بشيء كغضبه للنساء والصبيان»^(٢).

رابعاً: الكذب على الله تعالى، فإنّه من مفطرات الصوم في شهر رمضان، وهو من الإفتاء بغير علم الذي يتبوّأ صاحبه مقعداً من النار! قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل: ١١٦).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨).

ومن ذلك، الكذب على رسول الله ﷺ بنسبة حديث له لم يقله! فويل للمأجورين الذين نسبوا له ﷺ ما لم يقله، فعن الإمام علي عليه السلام: «فوالله لئن أحر من السماء أو تخطفني الطير أحبُّ إليّ من أن أكذب على رسول الله ﷺ»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام - لَمَّا ذُكِرَ الحائِك له أَنَّهُ ملعون -:

(١) الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٤٥١ / ح ٧٥٧٦.

(٢) عدّة الداعي: ٧٥، عنه بحار الأنوار ١٠١: ٧٣ / ح ٢٣.

(٣) قرب الإسناد: ١٣٣ / ح ٤٦٦.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٠٣

«إنّما ذاك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ»^(١).

وعنه عليه السلام: «إنّ الكذبة لتفطر الصائم»، - قال أبو بصير: -
قلت: وأيّنا لا يكون ذلك منه؟! قال: «ليس حيث ذهبت، إنّما ذلك
الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمّة صلوات الله عليهم»^(٢).

السبب الرابع: ترك شكر النعم:

«لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي غَيْرَ شَاكِرٍ لِنِعْمَائِكَ فَحَرَمْتَنِي»:

من الأمور التي تعارف عليها الناس هي قضية المجازاة والمكافأة
على الصنائع، فمن يحسن إليك لا بدّ أن تردّ له إحسانه من باب ﴿هَلْ
جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٣) (الرحمن: ٦٠)، ونسيان هذا الأمر أو
تركه يؤدّي إلى ما يُسمّى بـ (قطع سبيل المعروف).

ولهذه القاعدة موارد عديدة، من أهمّها شكر المحسن والمنعم، ولا
محسن لنا ومنعم علينا كالله تعالى، بل كلّ محسن ومنعم دونه فمن جوده
وعطائه يُحسّن ويُنعم. وكم من نعمة هي عندنا تستوجب الشكر!

فمثلاً: (إنّ الإنسان عندما يعطس يتوقّف القلب عن النبض خلال
العطاس، وإذا حاول إيقاف عطاسه فجأةً فقد يؤدّي ذلك إلى ارتداد الدم في
الرأس أو الرقبة، وتحدث الوفاة، وإذا تُركت العينان مفتوحتين فقد تخرجان من
مكانهما، لكلّ ذلك ألا يجب على الإنسان أن يشكر ربّه بعد العطاس؟!)^(٤).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (النحل: ١٨)،

نعمة واحدة فقط (لا تحصوها)!

(١) الكافي ٢: ٣٤٠ / باب الكذب / ح ١٠.

(٢) الكافي ٢: ٣٤٠ / باب الكذب / ح ٩.

(٣) مجلّة الأبعاد الخفيّة / العدد ٣٩ / ص ٦٣، نقله عنها السيّد حسين نجيب محمّد في كتابه

في رحاب الله (ص ٢٥٢).

١٠٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

وعلى كلِّ حالٍ، العقل - يعضده النقل - يحكم بخسّة من لا يشكر ربّه المنعم عليه، خصوصاً مع ما نراه من البعض من توجيه الشكر والتبجيل لطبيب إذا نجح في وصف علاج له، أو لميكانيكي إذا أصلح له سيّارته، أو لموظّف إذا سهّل له مجرى معاملته، ولكنّه مع ربّه الذي كان هو سبب جميع تلك النعم يبقى غافلاً عن شكره متناسياً لنعمه! حريٌّ بمثل هذا الفرد أن يجرمه الله تعالى من عطاياه، «لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي غَيْرَ شَاكِرٍ لِنِعْمَائِكَ فَحَرَمْتَنِي».

وحتىّ نكون على بينة من أمرنا - بعد تسليمنا وجوب الشكر لله تعالى - ينبغي علينا أن نلتفت إلى أمور تُمثّل كفران النعم وترك شكرها، وهي عديدة، نذكر منها:

أولاً: عدم الشكر اللساني:

فإنّ الشكر القلبي وإن كان هو الأهمّ، ولكن الكاشف عنه هو الشكر اللساني، القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (الضحى: ١١)، فللحديث اللساني أثر في قبول الأعمال، فينبغي عدم غفلة ذلك.

ولدينا في تراثنا العديد من الأدعية المختصّة بالشكر، ولا أشهر من مناجاة الشاكرين للإمام زين العابدين عليه السلام التي تكشف الكثير من أسرار الشكر، والتي يقول فيها عليه السلام: «... فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إِلَى شُكْرٍ؟! فَكُلَّمَا قُلْتُ: لَكَ الْحَمْدُ، وَجَبَ عَلَيَّ لِذَلِكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الْحَمْدُ...»^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ داود النبي عليه السلام قال: يا ربّ،

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٤١٠.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منفرات القلوب؟..... ١٠٥

أخبرني بقريني في الجنة ونظيري في منازل، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: إن ذلك متي أبا يونس».

قال: «فاستأذن الله في زيارته فأذن له، فخرج هو وسليمان ابنه عليهما السلام حتى أتيا موضعه، فإذا هما ببيت من سعف، فقبل لهما: هو في السوق، فسألا عنه، فقبل لهما: أطلباه في الحطابين، فسألا عنه، فقال لهما جماعة من الناس: نتظره الآن حتى يجيء، فجلسا ينتظرانه إذ أقبل وعلى رأسه وقر من حطب، فقام إليه الناس، فألقى عنه الحطب، فحمد الله، وقال: من يشتري طيباً بطيب، فساومه واحد، وزاده آخر حتى باعه من بعضهم».

قال: «فسلمنا عليه، فقال: انطلقا بنا إلى المنزل، واشترى طعاماً بما كان معه، ثم طحنه وعجنه في نقير له، ثم أجج ناراً وأوقدها، ثم جعل العجين في تلك النار، وجلس معها يتحدث، ثم قام وقد نضجت خبيزته، فوضعها في النقير، فلفها وذر عليها ملحاً، ووضع إلى جنبه مطهرة مليء ماءً، وجلس على ركبتيه، فأخذ لقمة، فلما رفعها إلى فيه قال: بسم الله، فلما ازدردها قال: الحمد لله، ثم فعل ذلك بأخرى وأخرى، ثم أخذ الماء فشرب منه، فذكر اسم الله، فلما وضعه قال: الحمد لله، يا رب، من ذا الذي أنعمت عليه وأوليته مثل ما أوليتني، قد صححت بصري وسمعي وبدني، وقويتني حتى ذهبت إلى شجر لم أغرسه، ولم أهتم لحفظه، جعلته لي رزقاً وسقت لي من اشتراه مني، فاشتريت بثمنه طعاماً لم أزرعه، وسخرت لي النار فأنضجته، وجعلتني آكله بشهوة أقوى بها على طاعتك، فلك الحمد».

قال: «ثم بكى، فقال داود لسليمان: يا بني، قم فانصرف بنا، فإنني لم أر عبداً قط أشكر الله من هذا»^(١).

(١) تنبيه الخواطر (مجموعة ورام) ١: ٢٦، عنه بحار الأنوار ١٤: ٤٠٢ و ٤٠٣ / ح ١٦.

١٠٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

ثانياً: استخدام النعم في معصية الله تعالى!

وهذا من عجائب أفعال من يدّعي العقل!

لقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «شكر كلّ نعمة الورد

عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَبْدَكَ»^(١).

إنّ من أهمّ النعم الإلهية على العبد هي: الصحّة، الشباب، المال،

الجاه، السلطان، القوّة البدنية، وغيرها. وكلّ هذه النعم هي من قبيل

السلاح ذي الحدّين، وحذار ممّن يستعمل الحدّ الأعوج!

ومن هذا الباب مواجهة النعم بالمعاصي!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يقول الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، ما

تنصّفتني، أتحبّب إليك بالنعم وتممّقت إليّ بالمعاصي، خيري عليك منزل

وشرك إليّ صاعد، ولا يزال ملك كريم يأتيني عنك في كلّ يوم وليلة

بعمل قبيح منك. يا ابن آدم، لو سمعتَ وُصفَكَ من غيرك وأنت لا

تعلم من الموصوف، لسارعت إلى مقتته»^(٢).

ثالثاً: عدم أداء حقوق النعم الشرعية:

فإنّ على الأموال حقوقاً شرعية عبّر عنها بالزكاة والخمس وزكاة الفطرة،

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله سبحانه فرّض في أموال الأغنياء أقوات

الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلّا بما مُتّع به غنيٌّ، والله تعالى سائلهم عن ذلك»^(٣).

وإنّ على الجاه حقّاً شرعياً، هو قضاء حوائج الإخوان.

وإنّ على الجمال حقّاً شرعياً، وهو العفاف.

(١) الخصال: ١٤ / ح ٥٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٣١ / ح ١٨، عنه بحار الأنوار ٧٠: ٣٥٢ / ح ٥٠.

(٣) نهج البلاغة: ٥٣٣ / ح ٣٢٨.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منفرات القلوب؟..... ١٠٧

وإنَّ علىَّ الفقرَ حقّاً شرعيّاً، وهو الصبر.
وإنَّ علىَّ القدرةَ حقّاً شرعيّاً، وهو العفو^(١).
وإنَّ علىَّ بقيّةِ النعمِ حقوقاً شرعية لا بدَّ من الالتفات إليها.
وعدم الالتفات إليها يعني ترك الشكر!
رابعاً: إلهاء النعم عن ذكر الله تعالى:

وهي من مصائد الشيطان وسليبات النعم المتكاثرة، وهي تؤدّي إلى طامة كبرى يُعبّر عنها بـ (الاستدراج) الذي عرّفه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «هو العبد يذنب الذنب، فتجدد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب»^(٢).

خامساً: عدم شكر الناس:

فإنَّ من أحسن إليك من الناس يجب شكره - وإن كان الشكر لازماً لله تعالى أولاً -، ولكن الله تعالى أراد منك أن تشكر العبد إذا أحسن إليك حتّى تُشجّعه على الإحسان مرّة ثانية وثالثة ورابعة.
يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبده يوم القيامة: أشكرت فلانا؟ فيقول: بل شكرتك يا ربّ، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره»، ثم قال عليه السلام: «أشكركم الله أشكركم للناس»^(٣).

السبب الخامس: ترك مجالس العلماء:

«لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ فَحَدَّثْتَنِي»:

إنَّ الإسلامَ كنظام عامّ للمجتمع، جاء ليُصلحَ أمور الناس، دنيوياً

(١) يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ، فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ». (نهج البلاغة: ٤٧٠ / ح ١١).

(٢) الكافي ٢: ٤٥٢ / باب الاستدراج / ح ٣.

(٣) الكافي ٢: ٩٩ / باب الشكر / ح ٣٠.

١٠٨ كيف تُقِيل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

ودينياً، ولذلك نجد أن له قولاً في كل مسألة، حتّى اشتهر عند علماء الأصول أنّه ما من مسألة أو واقعة إلا وللشرع فيها حكم.

ومن دقّته أنّه أخذ بعين الاعتبار أنّ الإنسان يحتاج إلى أن يجالس غيره، فليس الإنسان كائناً وحشياً فردياً، وإنّما هو كائن اجتماعي، على اختلاف في تحريج اجتماعيته، وأنّه اجتماعي بذاته أو لأنّه يحتاج إلى بقيّة أفراد نوعه ليتكامل معهم، لا شأن لنا بهذا الآن، المهمّ أنّ الكلّ متّفق على أنّه كائن اجتماعي.

عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: حدّثني عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام، قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «ليس لك أن تقعد مع من شئت، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وليس لك أن تتكلّم بما شئت، لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ولأنّ رسول الله ﷺ قال: رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو صمت فسلم. وليس لك أن تسمع ما شئت، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُلاً﴾ [الإسراء: ٣٦]»^(١).

ولهذا فالمجالس داخلية في الحساب، وهي بالتجربة تُؤثّر على الإنسان سلباً وإيجاباً، والإسلام وضح هذه المسألة بصورة جليّة. ولذا ورد النهي عن حضور بعض المجالس والأمر بحضور بعض آخر.

(١) علل الشرائع ٢: ٦٠٥ و٦٠٦ / باب ٣٨٥ / ح ٨٠.

الفصل الثالث: كيف أتحب منفات القلوب؟..... ١٠٩

أما المجالس المنهي عنها، فهي كل مجلس لا ينفع الإنسان لا في دنياه ولا في آخرته، ومنها المجالس التي لا يذكر فيها الله تعالى، أو يذكر فيها لكن بصورة سلبية بما يُسمى بالاعتراض على حكم الله تعالى أو الكفر به أو الخوض بالباطل، أو المجالس التي يتجاوز فيها على الصالحين، خصوصاً الأنبياء والأئمة عليهم السلام الذين نصبهم الله تعالى حججاً على البشر.

والآيات والروايات في ذلك كثيرة، منها:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ (النساء: ١٤٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨).

وقال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ...﴾ [النساء: ١٤٠]: «إنما عنى بهذا الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في الأئمة، فقم من عنده ولا تقاعده كائناً من كان»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يُسبُّ فيه إمام، أو يُغتَاب فيه مسلم، إن الله يقول في كتابه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا...﴾ [الأنعام: ٦٨]»^(٢).

(١) الكافي ٢: ٣٧٧ / باب مجالسة أهل المعاصي / ح ٨.

(٢) تفسير القمّي ١: ٢٠٤.

١١٠ كيف تُقِيلِ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

ويقول الإمام عليّ عليه السلام: «لا تجلسوا على مائدة يُشرب عليها الخمر، فإنَّ العبد لا يدري متى يُؤخذ»^(١).

وعنه عليه السلام: «إياك والجلوس في الطرقات»^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يُعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره»^(٣).

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقوم مكان ريبة»^(٤).

وربَّما نستطيع تلمس بعض الحُكم في النهي عن تلك المجالس من خلال نفس هذه الروايات الشريفة، منها:

١ - إنَّ الجلوس في تلك المجالس فيه احتمال الإصابة باللعة الإلهية لو نزلت، وهي محتملة النزول في أيِّ لحظة على تلك المجالس، وكما عبَّر الإمام عليه السلام في الرواية بـ «فإنَّ العبد لا يدري متى يُؤخذ». ولذا ورد أنَّ عذاباً نزل على قوم فأصاب المؤمنين كما أصاب الكافرين، لأنَّهم جالسوهم ولم يأمرهم بمعروف ولم ينهوهم عن منكر^(٥).

والقاعدة العامة هنا هي ما قاله لقمان الحكيم لابنه: «أجلس مع صلحائهم فربَّما أصابهم الله برحمة فتدخل فيها فيصيبك، وإن كنت

(١) الخصال: ٦١٩ / حديث أربعائة.

(٢) بحار الأنوار ٧٢: ٤٦٥ / ح ٦، عن أمالي الطوسي: ٨ / ح (٨/٨).

(٣) الكافي ٢: ٣٧٤ / باب مجالسة أهل المعاصي / ح ١.

(٤) الكافي ٢: ٣٧٨ / باب مجالسة أهل المعاصي / ح ١٠.

(٥) راجع: الكافي ٥: ٥٥ و ٥٦ / باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / ح ١.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١١١

صالحاً فابعد من الأشرار والسفهاء، فربّما أصابهم الله بعذاب فيصيبك معهم»^(١).

٢ - إنّ الجلوس فيها مدعاة للظنّ السيّئ الذي ينبغي أن يُبعد المرء نفسه عنه، على غرار «رحم الله امرءاً جبّ الغيبة عن نفسه»^(٢).

وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ»^(٣).

«مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ الشُّوْءِ اتُّهِمَ»^(٤).

«مجالسة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار»^(٥).

ومن خلال هذا سنعرف أنّ الإسلام أمرنا بالجلوس في المجالس التي لا يُشتبه بنزول العذاب عليها، ولا تؤدّي إلى سوء الظنّ بالجالس، وفي هذا المجال جاءت الروايات الشريفة لتذكر لنا بعض مصاديق تلك المجالس، نذكر منها:

المجالس المأمور بها:

١ - مجالس الذكر: روي عن رسول الله ﷺ أنّه خرج على أصحابه، فقال: «ارتعوا في رياض الجنّة»، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنّة؟ قال: «مجالس الذكر»^(٦).

(١) بحار الأنوار ٧١: ١٨٩ / ح ١٨، عن أعلام الدين للدليمي: ٢٧٢.

(٢) كشف الخفاء للعجلوني ١: ٤٢٦ / ح ١٣٦٧.

(٣) نهج البلاغة: ٥٠٠ / ح ١٥٩.

(٤) نهج البلاغة: ٥٣٦ / ح ٣٤٩.

(٥) أمالي الصدوق: ٥٣١ / ح (٩/٧١٨).

(٦) عدّة الداعي: ٢٣٨ / ح ١٧.

١١٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

وقال ﷺ: «ما قعد عدَّة من أهل الأرض يذكرون الله إلاَّ قعد معهم عدَّة من الملائكة»^(١).

وورد في حِكْم لقمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اختر المجالس على عينيكَ، فإن رأيت قوماً يذكرون الله ﷻ فاجلس معهم، فإنَّكَ إن تكُّ عالماً ينفعك علمك ويزيدونك علماً، وإن كنت جاهلاً علِّموك، ولعلَّ الله يصلهم برحمة فتعمِّك معهم»^(٢).

٢ - مجالس المؤمنين: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم روضة من رياض الجنَّة فارتعوا فيها»، قيل: يا رسول الله، وما روضة الجنَّة؟ فقال: «مجالس المؤمنين»^(٣).

٣ - مجالس إحياء أمر أهل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: قال الإمام الصادق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من جلس مجلساً يُحيي أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»^(٤).
وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لفضيل: «تجلسون وتُحدِّثون؟»، قال: نعم جُعِلت فداك، قال: «إنَّ تلك المجالس أُحِبُّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيأ أمرنا. يا فضيل، من ذكَّرنا أو ذُكِّرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه ولو كان أكثر من زبد البحر»^(٥).

مجالسة العلماء:

ومن هذا يتبيَّن أهميَّة مجالسة العلماء وخطورة ترك مجالستهم، ولا

(١) عدَّة الداعي: ٢٣٨ / ح ١٦.

(٢) علل الشرائع ٢: ٣٩٤ / باب ١٣١ / ح ٩.

(٣) بحار الأنوار ٧١: ١٨٨ / ح ١٣، عن مستطرفات السرائر لابن إدريس: ٦٣٥.

(٤) الدعوات: ٢٧٨ / ح ٨٠٦.

(٥) قرب الإسناد: ٣٦ / ح ١١٧.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١١٣

أظنُّ أحداً يُحْكَم وجدانه إلا ويصل إلى قناعة كافية بهذه الحقيقة. والإمام السجّاد عليه السلام بيّن أنّ ترك مجالستهم يؤدّي إلى الخذلان، لأنّ الإنسان يحتاج في حياته إلى توفيق من الله تعالى، ومجالسة العلماء من أهمّ أسباب ذلك التوفيق. وهذا ما أكّدته الروايات الشريفة.

روى جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «لا تجلسوا إلا عند كلِّ عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشكِّ إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الرهبة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الغشِّ إلى النصيحة»^(١).

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام: لمن نجالس؟ فقال: «من يُذكركم الله رؤيته، ويُرعّبكم في الآخرة عمله، ويزيد في منطقتكم علمه»، وقال لهم: «تقرّبوا إلى الله بالبعد من أهل المعاصي، وتحبّبوا إليه ببغضهم، والتمسوا رضاه بسخطهم»^(٢).

وقال لقمان لابنه: «يا بنيّ، صاحب العلماء، وأقرب منهم، وجالسهم وزرهم في بيوتهم، فلعلك تُشبههم، فتكون معهم، واجلس مع صلحائهم، فربّما أصابهم الله برحمة فتدخل فيها فيصيبك، وإن كنت صالحاً فابعد من الأشرار والسفهاء، فربّما أصابهم الله بعذاب فيصيبك معهم»^(٣).

وفي المقام سؤالان مهمّان جدّاً لا بدّ من التعرّف على جوابهما:

السؤال الأوّل: كيف نجالس العلماء؟

قد يقال بأنّ العالم لديه الكثير من المشاغل التي تمنعه من إطالة

(١) بحار الأنوار ٧١: ١٨٨ و ١٨٩ / ح ١٨، عن أعلام الدين: ٢٧٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

١١٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

الجلوس مع الناس، فهو مشغول بدرسه الصعب الذي لا يوازيه أيّ درس في دراسة أُخرى، ومشغول بأمور الأُمَّة وتنظيم أمورها، خصوصاً وأنَّ مهمَّته خطيرة جداً، فإنَّ كلامه يصل إلى الأُمَّة جمعاء، فهو في حالة نفسية لا يُحسَد عليها، وبالتالي فهو مشغول جداً عن مجالستنا، فكيف نجالسه والحال هذه؟

والجواب عن هذا من السهولة بمكان، إذا التفتنا إلى أنَّ مجالسة العالم لا تنحصر بالجلوس المباشر، وإنَّما هو أفضل أنواع مجالسته لو أمكن، وهو ليس مستحيلاً، بل هو ممكن جداً. نعم، قد يمرُّ العالم أو الأُمَّة عموماً بظروف صعبة تمنع العالم من مباشرة الناس، وهو ظرف سبق وأن مرَّ به أئمَّتنا عليهم السلام، وأعطونا أفضل الطرق للتواصل مع أئمَّتهم وشيعتهم، وهم بذلك دلَّونا على الطرق المناسبة للتواصل مع القادة والأئمَّة والعلماء، وبذلك نعرف أنَّ هناك طرقاً أُخرى للتواصل ومجالسة العالم، مثل استماع محاضراته المسجَّلة، وقراءة كتبه ورسائله ونشراته، ومراسلته في الأمور المهمَّة بما يُسمَّى بالمكاتبات أو الاستفتاءات، وكذلك مجالسة من ينصبهم العالم.

السؤال الثاني: لماذا أعرض الناس عن مجالسة العلماء؟

وما هي الأسباب التي جعلت بعض الناس يستخفون بحقِّ العالم، ويتهاونون عن مجلسه؟

إنَّ هذا أمر واقعي نعيشه اليوم.

والحقيقة أنَّ بعض الناس لم يتهاونوا في ذلك وحسب، وإنَّما تهاونوا عن مجالسة أيِّ مؤمن لا يدور في مجلسه سوى الحقِّ، فلماذا هذا الإعراض؟

الفصل الثالث: كيف أتجنّب منفّرات القلوب؟..... ١١٥

إنّ هذا السؤال يجرّنا إلى البحث عن عموم الأسباب التي جعلت ذلك البعض يعرضون عن الدين عموماً، ولكن لنخصّص الكلام الآن عن ترك مجالسة العلماء - بالحدود التي عرفناها في جواب السؤال السابق - ما هو سببه؟ ربّما يمكننا تلمّس العديد من الأسباب، نذكر منها:

أولاً: مخالفة مجالس العلماء لأهواء النفس الأمّارة بالسوء، وعدم الانسجام التام مع الطرح الإيماني لمجالسهم، والناس تكره ما لا ينسجم مع توجهاتها، فلكلّ امرئ توجهات نفسية تتناسب مع ما بنى عليه حياته، ولا شكّ أنّ من كانت توجهاته سطحية ولا دينية فإنّه يكره مجالسة العلماء.

ثانياً: تشويه صورة العلماء في أذهان العامّة من قبل أعداء الإسلام، وهناك الكثير من الأدلّة التي تدلّ على ذلك.

جاء في بعض بنود مخطّطات اليهود ما نصّه:

(وقد عنينا عناية عظيمة بالخطّ من كرامة رجال الدين من الأمّين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤوداً في طريقنا. وإنّ نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوماً)^(١).

بالإضافة إلى أنّ الوثيقة الرابعة من الوثائق الاشتراكية اليهودية^(٢)

تقول فيما تقول^(٣):

(١) الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) لمحمّد خليفة التونسي.

(٢) نقلها الأستاذ طارق حجّي في كتابه (الشيوعية والأديان)، هذا الرجل الذي اعتقد الماركسية ومارس العمل بمبادئها، وقرأ فيها خمسة آلاف مرجع، ونشرتها كذلك مجلّة (كلمة الحقّ) في العدد الصادر في شهر المحرمّ سنة (١٣٨٧هـ)، ووردت في كتاب: (الكيد الأحمر) للمؤلّف عبد الرحمن حسن حنيكة.

(٣) ملاحظة: ترقيم الفقرات حسب ما هو موجود في الوثيقة.

١١٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

(٢) - تشويه سمعة رجال الدين، والحكام المتديّنين، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.

٤ - الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفاً، والعمل الدائم بيقظة لمحو أيّ انبعاث ديني.

٥ - ومع هذا لا يغيب عنّا أنّ للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات؛ ولذا وجب أن نحاصره من كلّ الجهات، وفي كلّ مكان، وإصاق التهم به، وتغيير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة الإسلام.

٦ - تشجيع الكُتّاب الملحدّين، وإعطائهم الحرّية كلّها في مواجهة الدين، والشعور الديني، والضمير الديني، والعبقرية الدينية.

١٤ - تحطيم القيم الدينية والروحية، واصطناع الخلل والعيوب لها.

١٨ - إصاق كلّ عيوب الدراويش، وخطايا المنتسبين للدين بالدين نفسه؛ لإثبات أنّ الدين خرافة.

١٩ - تسمية الإسلام الذي تُؤيِّده الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها - بالدين الصحيح، والدين الثوري، والدين المتطوّر.

٢٠ - باسم تصحيح المفاهيم الإسلاميّة، وتنقية الدين من الشوائب، وتحت ستار الإسلام، يتمُّ القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية).

ثالثاً: بعض التصرفات الخاطئة واللامسؤولية من بعض مَنْ يُنسبون إلى أهل العلم - وهم ليسوا منهم في الحقيقة -، مع تعميم صورة المخطئ إلى العنوان العامّ، أيّ إنّه إذا أخطأ رجل العلم في مسألة

الفصل الثالث: كيف أتجنّب منفّرات القلوب؟..... ١١٧

ما، فإنّ العامّة أحياناً - أو ربّما في كثير من الأحيان - يُعمّمون هذه الصورة إلى عموم العلماء! وهذا طبعاً خطأ منهجي من دون مبرّر. أضف إلى ذلك أنّ الكثير من الناس يفتقدون حسّ التمييز بين الأفراد، ممّا يُسبّب لهم إطلاق الأحكام العامّة من وقائع جزئية لا مسؤولة.

ولعلاج هذه المسألة وردت الروايات الكثيرة التي تُحذّر أهل العلم من مخالفة قولهم لأعمالهم:

قال الإمام عليّ عليه السلام - لَمَّا سُئِلَ عن خير الخلق بعد الأئمّة عليهم السلام :- «العلماء إذا صلحوا»، قيل: فمن شرار خلق الله بعد إبليس وفرعون ونمرود...؟ قال: «العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق»^(١).

وقال الإمام العسكري عليه السلام - في صفة علماء السوء :- «وهم أضُرُّ عليّ ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد عليّ الحسين بن عليّ عليه السلام وأصحابه، فإنّهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السوء...، يُدخلون الشكّ والشبهة عليّ ضعفاء شيعتنا فيضلّونهم»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أشرار علماء أمتنا: المضلّون عنّا، القاطعون للطرق إلينا، المسمّون أضدادنا بأسمائنا، الملقّبون أضدادنا بألقابنا، يصلّون عليهم وهم للعن مستحقّون...»^(٣).
هذا من جانب.

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٦٤ و٢٦٥.

(٢) الاحتجاج ٢: ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق.

١١٨ كيف تُقِيلُ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

ومن جانب آخر وردت التربيوات الدينية على ضرورة الفصل بين تصرفات الأفراد وعدم تعميمها ولا تحميلها لغير الفاعل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٣٦٤﴾﴾ (الأنعام: ١٦٤).

رابعاً: عدم معرفة أهمية العالم، والاعتقاد بأن مجالسه مجالس عادية، أو أنها لا فائدة فيها، أو أنها لا تؤثر على سلوك الإنسان إيجاباً، والحال أن حال العالم أفضل وأعظم مما نتصور.

قال رسول الله ﷺ: «إن أقرب الناس من درجة النبوة أهل الجهاد وأهل العلم»^(١).

وعنه ﷺ: «طالب العلم ركن الإسلام، ويُعطى أجره مع النبيين»^(٢).

وعنه ﷺ: «موت العالم مصيبة لا تُجبر وثلمة لا تُسد، وهو نجم طمس، وموت قبيلة أيسر من موت عالم»^(٣).

ويمكن تلمس أهمية مجالسة وتكريم العالم من خلال الأحاديث الواردة في هذا المجال، ومنها قول أمير المؤمنين ع: «إذا رأيت عالماً فكن له خادماً»^(٤)، وفي رواية أخرى: «من وقّر عالماً فقد وقّر ربّه»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «من استقبل العلماء فقد استقبلني، ومن

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨: ٥٢٤.

(٢) الجامع الصغير للسيوطي ٢: ١٣٠ / ح ٥٢٥٣.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٣٨: ٣١٨.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ١٣٤.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٩.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١١٩

زار العلماء فقد زارني، ومن جالس العلماء فقد جالسني، ومن جالسني فكأنما جالس ربّي»^(١).

السبب السادس: الغفلة:

«لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي فِي الْغَافِلِينَ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَنِي»:

قالوا: إن النفس لا يمكنها أن تتوجّه إلى مدرّكين في آنٍ واحدٍ، لعدم قدرتها على ذلك، ففي كل لحظة هي تتوجّه إلى شيء معيّن واحد، وتوجّهها إلى شيء معيّن قد يعني إدارها عن غيره، يعني أنّها تدير بوجهها عن غيره، أو قل: (تغفل) عن غيره.

وهذه الحقيقة لها تطبيقات عديدة في الحياة، فمثلاً قالوا في قضية المذاكرة والحفظ: إنّ من أراد أن يحفظ فعليه أن يركّز فكره في مسألة معيّنة حتّى يتقنها ويحفظها، وإلاّ فإنّه لن يجني سوى التعب.

والتاجر الذي عنده العديد من أنواع التجارات، وكلُّ واحد من تلك الأنواع يحتاج إلى حساب خاصّ، فإنّ عليه - إذا أراد النجاح - إمّا أن يوكل ويفوض بعض أنواع تجارته إلى بعض الأفراد الذين يثق بهم، وإمّا أن يعالجها واحدة تلو الأخرى، أمّا أن يعالجها كلّها في آنٍ واحدٍ، فهذا من المحال بمكان.

ومن عنده عدّة مشكلات، لا بدّ عليه أن يفصلها بعضها عن البعض الآخر، ثمّ يعمل على علاجها واحدة تلو الأخرى.

وهكذا في جميع مجالات الحياة.

تصوّر معي لو أنّ شخصاً دخل إلى غرفة مملوءة بشاشات تلفزيونات كثيرة، وكانت كلّها تعمل في آنٍ واحدٍ، وكلُّ واحدة موجهة نحو قناة غير

(١) كنز العمال ١٠: ١٧٠ / ح ٢٨٨٨٣.

١٢٠ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

الأخرى، فإنه من المستحيل أن يلتفت إليها كلها في آن واحد، وبالتالي عليه أن يُطفئ جميع القنوات إلا واحدة حتى يمكنه أن يتوجه إليها. والدين أخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة، بل وركزها في تربيته، وجعلها محط نظره، وصرح بها حينما قال عز من قائل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (الأحزاب: ٤).

وورد فيما ناجى الله تعالى به عيسى بن مريم عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى لعيسى بن مريم عليه السلام: «يا عيسى، ليكن لسانك في السرِّ والعلانية لساناً واحداً، وكذلك قلبك، إني أحذرك نفسك، وكفى بي خبيراً، لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا سيفان في غمد واحد، ولا قلبان في صدر واحد، وكذلك الأذهان»^(١).

ولهذه الحقيقة تطبيقات عديدة في الدين، فمثلاً:

أولاً: ينبغي للمؤمن أن يتوجه في صلاته، فإن له منها ما أقبل به على الله تعالى.

فعن الإمام علي عليه السلام: «لا يقوم أحدكم في الصلاة متكاسلاً، ولا ناعساً، ولا يفكرن في نفسه، فإنه بين يدي ربه عز وجل، وإنما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه»^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من صلى وأقبل على صلاته لم يحدث نفسه ولم يسه فيها، أقبل الله عليه ما أقبل عليها، فربما رفع نصفها وثلاثها وربعا وخمسها، وإنما أمر بالسنة ليكمل ما ذهب من المكتوبة»^(٣).

(١) الكافي ٢: ٣٤٣ / باب ذي اللسانين / ح ٣.

(٢) الخصال: ٦١٣ / حديث أربعائة.

(٣) المحاسن ١: ٢٩ / ح ١٤.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٢١

ثانياً: تركيز الجهد على ما ينفع، على مستوى العلم والعمل، فلا خير في علم لا ينفع، ولا خير في عمل لا يُقبل.

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به، وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك ما ذلك على صلاح قلبك وأظهر لك فسادَه، وأحمد العلم عاقبة ما زادك في عملك العاجل، فلا تشتغلنَّ بعلم ما لا يضرك جهله، ولا تغفلنَّ عن علم ما يزيد في جهلك تركه»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه، ثمّ عليك من العلم بما لا يصحُّ العمل إلا به، وهو الإخلاص»^(٢).

ثالثاً: التركيز على الاستفادة القصوى من العمر فيما يبقى ولا ينفد. يقول الإمام علي عليه السلام: «لو اعتبرت بما أضعت من ماضي عمرك لحفظت ما بقي»^(٣).

ويقول رسول الله ﷺ: «إنَّ العمر محدود لن يتجاوز أحد ما قُدِّر له، فبادروا قبل نفاذ الأجل»^(٤).

إنَّ الغفلة عن التركيز على النافع تؤدِّي إلى أنّه سيتوجّه نحو ما لا ينفعه، وبالتالي سيخسر الكثير من رأس ماله (عمره) من دون مبرر، ولذا كان لزاماً على المؤمن أن لا يغفل عن هذه الحقيقة، وأن يتعد عن مجالس الغافلين حتّى لا يصاب بمرضهم. وهو ما يقول عنه الإمام السجّاد عليه السلام بأنّه يؤدِّي إلى اليأس من رحمة الله تعالى - والعياذ بالله -.

(١) عدّة الداعي: ٦٨.

(٢) بحار الأنوار ٢: ٣٢ / ح ٢٢.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤١٥.

(٤) أعلام الدين: ٣٣٦ / ح ١٢، عنه بحار الأنوار ٧٤: ١٧٩ / ح ١٠.

١٢٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

وحتى تتم الفائدة نحاول الإجابة عن بعض الأسئلة:

السؤال الأول: لماذا تحصل الغفلة؟

إنَّ الغفلة هي حالة استثنائية عند الإنسان، فإنَّ الأصل فيه أن يكون ملتفتاً إلى واقعه ونفسه وحياته وكلِّ أموره، حتى أموره الدينية مع الله تعالى ومع دينه ومذهبه ومجتمعه...، ولكنَّه في بعض الأحيان يقع في مصيدة الغفلة. ومن هنا يحقُّ لنا أن نتساءل عن الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع في الغفلة، ويمكن تلمس بعض تلك الأسباب بالتالي^(١):

أولاً: الجهل:

فإنَّ الجهل بعواقب الغفلة، والجهل بما يُراد من الإنسان، والجهل بالمستقبل الأسود للغفلة، كلُّها تؤدي إلى الغفلة!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد»^(٢).

ثانياً: الغرور والأنانية:

فالمغرور يرى نفسه عظيماً وفوق الناس، فيمشي وهو مغمض العينين، حتى يقع في الحفرة!

ثالثاً: سكر النعمة:

فإنَّ الذي تتابع عليه النعم قد يغفل عن كثير ممَّا يُراد منه اشتغالاً منه بالنعم أو بالتلهي بها أو بالحفاظ عليها وما شاكل. فهارون العباسي لم يلتفت إلى آخرته إلا عندما أرخى رجليه في قبره وأنداك قال: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهٗ ۖ هَلَكْتُ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾^(٣) (الحاقّة: ٢٨ و ٢٩)^(٣).

(١) أنظر: الأخلاق في القرآن للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٢: ٣١٩ - ٣٢١.

(٢) الكافي ٨: ٢٣ / ح ٤، خطبة الوسيلة.

(٣) أخلاق أهل البيت للسيد محمد مهدي الصدر: ٢٠٢.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٢٣

وسَمِعَ عبد الملك بن مروان - ليلة قُبُضَ وهو يجود بنفسه وقد سَمِعَ صوت قصّار - يقول: يا ليتني كنت غَسَّالاً أَعِيشُ بما أكسب يوماً بيوم. فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه^(١)، وهكذا عمرو بن العاص، وغيرهم من طواغيت الدهر.

رابعاً: العافية والسلامة البدنية:

فإنَّ من عاش الصِّحَّةَ طول حياته، ومن لم يرَ المرضي بأنواع الأمراض التي يعجز الأطباء عن معالجتها، ربَّما يعيش الغفلة والمثاليات والخيالات، والبعد عن الواقع.

خامساً: طول الأمل:

فإنَّ من طال أمله في الحياة يُسَوِّفُ في أعماله، ويُصاب بالغفلة حتَّى تنقضي بها أيامه وهو لا يدري! كما كان عمر بن سعد يقول: (أتوب إلى الرحمن من سنتين)^(٢).

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلموا عباد الله أنَّ الأمل يُذهب العقل، ويكذب الوعد، ويحثُّ على الغفلة، ويورث الحسرة»^(٣).

السؤال الثاني: كيف أتخلّص من الغفلة؟

حيث إنَّ كلامنا عن العلاقة مع الله تعالى وأسباب الإدبار بالقلب عنه تعالى، فالسؤال حينئذٍ يكون متوجَّهاً عن أنه كيف أتخلّص من الغفلة مع الله تعالى، والجواب نجده صريحاً في كلمات أهل البيت عليهم السلام، وللتخلّص من الغفلة عليك بالتالي:

(١) أمالي المرتضى ١: ٢٠٧.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف لابن طاووس: ١٩٣.

(٣) تحف العقول: ١٥٢، خطبة الديباج.

١٢٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

أولاً: دوام ذكر الله تعالى:

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «بدوام ذكر الله تنجاب الغفلة»^(١).

ثانياً: النية المستمرة لفعل الخير:

قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، هم بالحسنة وإن لم تعملها، لكيلا تُكتب من الغافلين»^(٢).

ثالثاً: الالتفات إلى تغير وانقضاء الأيام:

قال الإمام عليّ عليه السلام: «من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد»^(٣).

وقال عليه السلام: «استعينوا على بعد المسافة بطول المخافة، فكم من غافل وثق لغفلته، وتعلل بمهلته، فأمل بعيداً، وبنى مشيداً، فنقص بقرب أجله بعد أمله، فاجأته منيته بانقطاع أمنيته»^(٤).

رابعاً: المحافظة على الصلاة في أول وقتها:

قال الإمام الباقر عليه السلام: «أيما مؤمن حافظ على الصلوات المفروضة فصلاًها لوقتها، فليس هذا من الغافلين»^(٥).

خامساً: كسب العبرة من التاريخ^(٦):

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أغفل الناس من لم يتعظ بتغيير الدنيا من حال إلى حال»^(٧).

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١٨٨.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٣٦/ ح (١/١١٦٢).

(٣) الكافي ٨: ٢٣/ ح ٤، خطبة الوسيلة.

(٤) بحار الأنوار ٧٤: ٤٤٠/ ح ٤٨.

(٥) الكافي ٣: ٢٧٠/ باب من حافظ على صلاته أو ضيعها/ ح ١٤.

(٦) أنظر في هذه النقطة: الأخلاق في القرآن ٢: ٣٢٦.

(٧) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٩٥/ ح ٥٨٤٠.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٢٥

وعلى العموم، فإنَّ أهل البيت عليهم السلام يريدون أن يُلفتوا أنظارنا إلى حقيقة مهمّة، وهي أنّ الغفلة يمكن أن ترتفع إذا ما فكّر المؤمن قليلاً، فالإنسان قد كرّمه الله تعالى وجعله أفضل الموجودات، فهو مخدوم من جميع الموجودات، حتّى الملائكة هي بخدمة المؤمن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠).

ومع هذا التكريم، فمن العيب على الإنسان أن يخرج من إنسانيته ليتنازل عنها إلى مرتبة الحيوانية.

وما أطف ما ورد في هذا المجال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أما يستحي أحدكم أن يُغني على دابّته وهي تُسبّح»^(١).

ربّما هذا واحد من معاني ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، فالأنعام تُسبّح لله تعالى ولم تغفل عن الذكر حتّى وهي تعمل، ولكن الإنسان في بعض الأحيان ينسى الله تعالى وينسى ذكره ويغفل عنه ويغني! وإن أبيت، فما عليك إلّا أن تزور بعض القبور، لترى من أين جاؤوا؟! وعن ماذا انقلبوا؟! وهل من شيء نفعهم من أموالهم وأولادهم أم ماذا؟! عليك بزيارة القبور لترفع عن نفسك بعض الغفلة.

يا أسير الغفلات	قد مضى العمر وفات
مسرّعاً قبل الفوات	حصّـل الزاد وبادر
عن أمور واضحة	فإلى كم ذا التعامي
في بحار الظلمات	وإلى كم أنت غارق

(١) المحاسن ٢: ٣٧٥ / ح ١٤٤.

١٢٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

لم يكن قلبك أصلاً
بينما الإنسان يسأل
أهله يبكوا عليه
وتراهم حملوه
أين ما قد كان يفخر
وليه مال جزيل
سار عنها رغم أنف
كم بهما من طول مكث
فاغنم العمر وبادر
وأنب وارجع واقلع
واطلب الغفران ممن

بالزواج والعظوات
عن أخيه قيل مات
حسرةً بالعبرات
سرعةً للفلوات
بالجساد الصافات
كالجبال الراسيات
للقبور الموحشات
من عظام ناخرات
بالتقى قبل المات
من عظيم السيئات
تُرجى منه الهبات

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾
وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا
قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ
﴿٢٩﴾﴾ (الدخان: ٢٥ - ٢٩).

يا صاح إنك راحل فتزود
لا تغفلن فالموت ليس بغافل
فليأتين منه عليك بساعة
ولتخرجن إلى القبور مجرداً

فعساك في ذي اليوم ترحل أو غد
هيهات بل هو للأنام بمرصد
فتود أنك قبلها لم تولد
مما شققت بجمعه صفر اليد^(١)

(١) إرشاد القلوب للدليمي ١: ٥٠ و٦٠.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منفرات القلوب؟..... ١٢٧

والخلاصة، أن الجلوس مع الغافلين يؤدي إلى الغفلة بكل تأكيد، فإن الإنسان يتأثر كثيراً بما يُسمى بالعقل الجمعي، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ (الأنعام: ٦٨).

وهذا يعني فيما يعنيه أن من أهم أسباب رفع الغفلة هو مجالسة البعيدين عن الغفلة، فقد وردت الأوامر بأن نجالس من يُذكرنا بالله رؤيته. وهو ما يُعبّر عنه باختيار البطانة الصالحة.

وعلى الإنسان أن يعمل على رفع الغفلة ليس عن نفسه فقط، بل يعمل على أن يكون مؤثراً في جلسائه بحيث يرفع عنهم الغفلة لو وقعوا فيها، على حدّ ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر: ٣).

وإن اضطررت إلى مجالسة بعض الغافلين، فتسلّح بذكر (لا إله إلا الله)، وكن فيهم ولا تكن منهم، واستغفر الله تعالى عند قيامك منهم، فعليك أن تعدّ نفسك إعداداً جيّداً لمواجهة مثل تلك المجالس. والله تعالى وحده المستعان.

السؤال الثالث: هل الإقبال على الدنيا دائماً يعني الغفلة عن الله

تعالى وعن الآخرة؟

كلّا بالتأكيد، فالروايات وإن ذكرت تلك الأمور التي تُبعدك عن الغفلة، وأن الالتفات إليها والتزامها يحكي عن قلب متوجّه نحو الله تعالى، ولكن في الوقت ذاته فإن التزام هذه الأمور لا ينافي الكدّ على العيال وجمع الأموال وغيرها ممّا يُعمّر الحياة. كلّا، فإن الدين لا يتنافى مع هذه الأمور، نعم المفروض فيها أن تُكتسب من حلال، وأن تُصرف في

١٢٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

الحلال، فإنَّ السؤال يوم القيامة يكون عن «من أين اكتسبه، وفيم أنفقه»^(١)، فإذا كانت كذلك فهي من عمل الآخرة على حدِّ تعبير الإمام الصادق عليه السلام، حينما سأله ابن أبي يعفور قائلاً: «إنَّا لنحبُّ الدنيا، فقال لي: «تصنع بها ماذا؟»، قلت: أتزوِّج منها، وأحجُّ، وأنفق على عيالي، وأنيل إخواني، وأتصدَّق، قال لي: «ليس هذا من الدنيا، هذا من الآخرة»^(٢).

ولذا روي عن رسول الله ﷺ: «ليس من حبِّ الدنيا طلب ما يُصلِحك»^(٣).

ولذا كان لزاماً على المؤمن أن لا يذلَّ نفسه في الدنيا، بل عليه أن يبينها من حلال، من أجل حكمتين:

الأولى: أن لا يمدَّ يده إلى غيره، فيذلَّ نفسه، ولربَّما يُسبِّب ذلك نظرة ازدراء للمؤمنين ورميهم بأنهم متواكلون على غيرهم.

الثانية: أن يضربوا مثلاً لجميع الناس بأنَّ الدين لا يتنافى مع الدنيا إذا حُدَّت بالحدود الشرعية، وأنَّ الكسب غير منحصر بالحرام - كما قد يدَّعي البعض -، فهؤلاء مؤمنون يعملون بالحلال وهم أغنياء أو على الأقلِّ وصلوا إلى حدِّ الكفاف الاجتماعي اللائق بهم.

من هنا نجد الروايات الشريفة تشير في النفوس حقيقة إمكان الجمع بين الحياة هذه وبين الآخرة، راسمة الحدود المناسبة لهذا الجمع.

(١) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة لم تنزل قدما عبد حتَّى يُسئل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعمَّا اكتسبه من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن حبِّنا أهل البيت». (تحف العقول: ٥٦).

(٢) مستطرفات السرائر: ٥٦٤.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٥٤٥ / ح ٨٢٥٧.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٢٩

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا يعطائها ما تشتهي من الحلال وما لا يثلم المروّة وما لا سرف فيه، واستعينوا بذلك على أمور الدين، فإنّه روي: ليس منّا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه»^(١).

إنّ التوازن بين طلب الدنيا وطلب الآخرة هو مشروع المؤمن وهّمه في حياته، وهذا ما يتطلّب منه جهداً إضافياً لا يعرفه ولا يبذله من لا يهتمُّ لأمر آخرته، ولذلك عبّرت الروايات الشريفة عن المؤمن بأنّه أكثر همّاً من غيره.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أعظم الناس همّاً المؤمن الذي يهتمُّ بأمر دنياه وأمر آخرته»^(٢).

وورد أنّ لقمان عليه السلام قال لابنه وهو يعظه: «يا بنيّ، لا تدخل في الدنيا دخولاً يضرُّ بآخرتك، ولا تتركها تركاً تكون كلاً على الناس»^(٣).

السؤال الرابع: هل الغفلة دائماً مذمومة؟

تذكر لنا الروايات الشريفة مصطلحين في المقام: الغفلة والتغافل، والمقصود من الأوّل غير المقصود من الثاني، فالأوّل منهى عنه إذا أدّى إلى هلاك الإنسان - وهو ما كنّا نتكلّم عنه -، أمّا التغافل فقد أمرت به الروايات الشريفة ومدحته وجعلته من صفات المؤمنين^(٤)، ومن الأمور التي تساعد على بناء المجتمع.

(١) تحف العقول: ٤١٠.

(٢) سنن ابن ماجه ٢: ٧٢٥ / ح ٢١٤٣.

(٣) بحار الأنوار ٧٠: ١٢٤ / ح ١١٢، عن تنبيه الخواطر (مجموعة ورام) ١: ٨٧.

(٤) راجع: ميزان الحكمة ٣: ٢٢٨٧ / الرقم ٣١٠١، مدح التغافل.

١٣٠ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

من هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من لم يتغافل ولا يغصُّ عن كثير من الأمور تنغصت عيشته»^(١).

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام - من وصاياه - : «اعلم يا بني أن صلاح شأن الدنيا بحدافيرها في كلمتين: إصلاح شأن المعاش ملء مكيال ثلثه فطنة وثلثه تغافل، لأنَّ الإنسان لا يتغافل [إلا] عن شيء قد عرفه ففطن فيه»^(٢).

وروي عن ابن مسكان، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إني لأحسبك إذا شتمت عليّ بين يديك لو تستطيع أن تأكل أنف شاتمك لفعلت»، فقلت: إي والله جُعلت فداك، إني لهكذا وأهل بيتي، فقال لي: فلا تفعل، فوالله لرَبِّها سمعتُ من يشتم عليّاً وما بيني وبينه إلاَّ أسطوانة فأستر بها، فإذا فرغت من صلاتي فأمر به فأسلم عليه وأصافحه»^(٣).

وقد يُعبَّر عن هذا النوع من الغفلة بـ (التغافل الإيجابي)، ومعناه (أن يعيش الإنسان بحالة يُخفي معها الأشياء التي ينبغي إخفاؤها، أي أن يقوم الشخص بإظهار عدم اطلاعه وعدم علمه بالأشياء التي يعلم بها، ولكن إظهارها له عواقب سيئة، ويتصرّف معها تصرّف المتغافل ويمرُّ عليها مرّ الكرام، من موقع سعة الصدر، وقوّة الشخصية، لغرض حفظ ماء وجه الآخرين واحترامهم، وحيثيتهم الاجتماعية).

ومن جملة موارد التغافل الإيجابي هو إخفاء عيوب الآخرين، فإنَّ لكلِّ شخص عيوباً وأخطاءً لا يُحبُّ أن يطلَّع عليها الآخرون، ولذلك

(١) ميزان الحكمة ٣: ٢٢١٧.

(٢) كفاية الأثر للخزّاز القمي: ٢٤٠.

(٣) المحاسن ١: ٢٥٩ و ٢٦٠ / ح ٣١٣.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٣١

يسعى لكتمانها، ولكن أحياناً يعلم بها بعض الأشخاص الأذكياء، ففي مثل هذه الموارد يكون التغافل مطلوباً، وفي الحقيقة هو نوع من ستر العيوب الخفية التي لا ينبغي إظهارها إلا في موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بشكل لطيف ومستور أيضاً.

وهناك بعض الموارد يكون الكشف عن العيب فيها مؤدياً إلى تسقيط شخصية الأفراد، وكذلك يؤدي إلى حث الآخرين على المعصية، فالفضيحة قد تؤدي إلى زيادة الإيغال في ارتكاب الذنوب، وبعبارة أخرى: إذا زال حجاب الحياء عن المذنبين فإنهم سوف يقدمون على ارتكاب الذنوب المختلفة، ولهذا ففي مثل هذه الموارد يكون (التغافل) مانعاً عن تفشي هذه الظاهرة الاجتماعية السلبية...^(١).

وأبلغ من يبين الآثار الإيجابية للتغافل هو أمير البلاغة والبيان أمير المؤمنين عليه السلام حين قال:

«ذللوا أخلاقكم بالمحاسن، وقودوها إلى المكارم، وعودوا أنفسكم الحلم، واصبروا على الإيثار على أنفسكم فيما تجمدون عنه، ولا تداقوا الناس وزناً بوزن، وعظّموا أقداركم بالتغافل عن الدني من الأمور، وأمسكوا رمق الضعيف بجاهكم وبالمعونة له إن عجزتم عمّا رجاه عندكم، ولا تكونوا باحثين عمّا غاب عنكم فيكثر عائبكم، وتحفظوا من الكذب، فإنّه من أدنى الأخلاق قدراً، وهو نوع من الفحش، وضرب من الدناءة، وتكرّموا بالتعامي عن الاستقصاء - وروي: بالتعامس من الاستقصاء -»^(٢).

(١) الأخلاق في القرآن ٢: ٣٣٢.

(٢) تحف العقول: ٢٢٤.

السبب السابع: مؤالفة البطالين في مجالسهم:

«لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي أَلْفُ مَجَالِسِ الْبَطَّالِينَ فَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ خَلَيْتَنِي»:

لقد عرفنا بما فيه الكفاية أنَّ للمجالس مردودات إيجابية أو سلبية على الإنسان، فمجالسة العلماء سبب للتأييد الإلهي، وأمَّا مجالسة الغافلين فهي سبب لليأس من الرحمة الإلهية، وهنا يتعرَّض الإمام السَّجَّاد عليه السلام إلى سبب آخر من أسباب الخذلان الإلهي، إنَّه مؤالفة البطالين في مجالسهم، إنَّه يُسبِّب الإيغال إلى النفس وإليهم.

إنَّ من يؤالِف البطالين يوكله الله تعالى إليهم، وهل من أحد يستطيع أن يُدبِّر أموره هو من دون التأييد الإلهي حتَّى يمكنه أن يُدبِّر أموره غيره؟! فمن أوكله الله تعالى إلى غيره لا يستطيع غيره أن يُدبِّر أيَّ أمر من أموره.

وقد وردت الترويات الدينية في هذا المجال، ذاكرة مصاديق من مجالس البطالين، والتي من أهمها المجالس التي يُعصى فيها الله تعالى، أو المجالس التي يُستهزأ فيها بحجج الله تعالى، أو المجالس التي لا تنفع لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٤٠).

وفي الكافي بسند صحيح عن شعيب العقرقوفي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا...﴾ إلى آخر الآية، فقال:

الفصل الثالث: كيف أتجنب منفرات القلوب؟..... ١٣٣

«إنما عنى بهذا: الرجل يجحد الحق، ويكذب به، ويقع في الأئمة، فقم من عنده ولا تقاعده كائناً من كان»^(١).

وعنه عليه السلام، قال: «ثلاثة مجالس يمقتها الله ويرسل نقمته على أهلها، فلا تقاعدوهم ولا تجالسوهم: مجلساً فيه من يصف لسانه كذباً في فتياءه، ومجلساً ذكُرُ أعدائنا فيه جديد وذكُرنا فيه رثٌّ، ومجلساً فيه من يصدُّ عنا وأنت تعلم»، قال: ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام ثلاث آيات من كتاب الله، كأنها كنن في فيه - أو قال: كفه -: «**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**» [الأنعام: ١٠٨]، «**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**» [الأنعام: ٦٨]، «**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ**» [النحل: ١١٦]»^(٢).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «من قعد في مجلس يسب فيه إمام من الأئمة يقدر على الانتصاف فلم يفعل ألبسه الله الذل في الدنيا وعذبه في الآخرة وسلبه صالح ما من به عليه من معرفتنا»^(٣).

وعن محمد بن عاصم، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «يا محمد بن عاصم، بلغني أنك تجالس الواقفة؟»، قلت: نعم جعلت فداك، أجالسهم وأنا مخالف لهم، قال: «لا تجالسهم، فإن الله تعالى يقول: **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ**

(١) الكافي ٢: ٣٧٧ / باب مجالسة أهل المعاصي / ح ٨.

(٢) الكافي ٢: ٣٧٨ / باب مجالسة أهل المعاصي / ح ١٢.

(٣) الكافي ٢: ٣٧٩ / باب مجالسة أهل المعاصي / ح ١٥.

١٣٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

بها فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِنْتَلُهُمْ ﴿[النساء: ١٤٠]، يعني بالآيات الأوصياء، والذين كفروا بها الواقعة﴾^(١).

السبب الثامن: عدم استيعاب شروط استماع الدعاء:

«لَعَلَّكَ لَمْ تُحِبَّ أَنْ تَسْمَعَ دُعَائِي فَبَاعَدْتَنِي»:

ما هي الوساطة القويّة والرابطة الوثيقة بين السماء والأرض؟

وبين الله تعالى وعباده؟

ما هو الأمر الذي يضمن العبد به قبوله عند ربّه؟

ما هو الأمر الذي يجعل الله تعالى ينظر إلينا برحمته؟

إنّه ليس إلاّ الدعاء، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَوُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا

دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ (الفرقان: ٧٧).

ولذا اعتبر عدم الدعاء استكباراً يستحقُّ فاعله دخول جهنّم،

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (غافر: ٦٠).

ولا بدّ أن طرق سمعك أو جال بفكرك سؤال حير الكثير! وهو

أنّ القرآن الكريم يؤكّد على أنّ الدعاء يستتبع الإجابة من الله تعالى:

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فلماذا لا يُستجاب للكثير من أدعيتنا؟

إنّ الجواب على ذلك هو من القرآن أيضاً، إذ القرآن ليس عقداً قد

انفردت وتناثرت حباته، إنّها هو كلّ واحد مترابط، فلا بدّ من ملاحظة

مجموع الآيات المترابطة ليظهر موضوع ما متكاملًا.

والإمام السجّاد عليه السلام يريد أن يطرح لنا أمراً مهمّاً في المقام، إذ كأنّه

(١) بحار الأنوار ٤٨: ٢٦٤ / ح ٢٢، عن اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٥٧ و٧٥٨ / ح ٨٦٤.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقرات القلوب؟..... ١٣٥

يريد القول: إنَّ أهميَّة الدعاء رغم أنَّها لا تخفى، ورغم أنَّه الوسطة المهمَّة جدًّا بين العبد وربِّه، ورغم أنَّ الله تعالى يُحبُّ أن يسمع دعاء العبد، إلَّا أنَّه رغم ذلك قد يصادف أنَّ الله تعالى يعرض عن بعض ولا يُحبُّ أن يسمع دعاءهم! وإذا لم يُحبِّ الله تعالى أن يسمع دعاء عبد، فإنَّه تعالى سيياعده عن ساحة القدس، ممَّا يُسبِّب له قسوة القلب، وهذا من باب الاضطرار بسوء الاختيار، أي إنَّ ابتعاد العبد عن ساحة القدس كان بسبب سوء اختياره هو، فلا يلومنَّ إلَّا نفسه. أمَّا بالنسبة إلى الله تعالى، فالمسافة بينه وبين جميع عبيده واحدة، هي مسافة الرحمة والرأفة والعطف الربَّاني الذي لا مثيل له.

ولكن، لماذا قد لا يُحبُّ الله سماع دعاء البعض؟

ما هي الأسباب التي تجعل الدعاء في معرض المبعوضة لله تعالى؟

والجواب: يمكن أن يكون لذلك أكثر من سبب واحد، نذكر بعضها:

أولاً: أن يكون الدعاء منافياً للحكمة، كمن يطلب شيئاً محرماً، أو مرجوحاً، أو مخالفاً للمروءة، وما شابه ذلك. وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ كرم الله تعالى لا ينقض حكمته، فلذلك لا تقع الإجابة في كلِّ دعوة»^(١).

ومن هذا القبيل ما قيل من أنَّ أعرابياً أمسك بأستار الكعبة وصاح: (اللهم اغفر لي ولحمم، ولا تغفر لأحد معنا)^(٢)!

ثانياً: أن يكون الداعي آكلاً للحرام أو مجاهرًا بالمعاصي، يقول

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١٥١.

(٢) سنن ابن ماجه: ١/١٧٦ ح ٥٢٩.

١٣٦ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ العبد يسأل الله الحاجة، فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب، أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً، فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا تقض حاجته واحرمه إيَّها، فإنَّه تعرَّض لسخطي، واستوجب الحرمان منِّي»^(١).

ثالثاً: أن لا يستجمع الدعاء شروط الإجابة، وهي عديدة ذكرتها

الروايات الشريفة، هذه عناوينها:

- ١ - الافتتاح بالبسملة.
 - ٢ - التمجيد لله تعالى.
 - ٣ - البدء بالصلاة على محمد وآل محمد.
 - ٤ - اختيار الأوقات والأماكن المناسبة للدعاء، كعقب الصلاة، وعند نزول المطر، وفي المسجد، وما بين الأذان والإقامة...
 - ٥ - السجود أثناء الدعاء.
 - ٦ - تقديم الدعاء للإمام المهدي عليه السلام.
 - ٧ - الدعاء كهيئة المضطرّ.
 - ٨ - الختم بالصلاة على محمد وآل محمد.
- رابعاً: أن يكون من الأشخاص الذين لا يُستجاب دعاؤهم، وهم عدة طوائف:

- ١ - القادر على السعي للرزق وقد أمره الله تعالى بذلك، ولكنه يجلس في بيته، ويدعو الله أن يرزقه.
- ٢ - القادر على طلاق زوجته والخلاص منها وهي تؤذيه، فلا يُطلقها، بل يدعو عليها.

(١) الكافي ٢: ٢٧١ / باب الذنوب / ح ١٤.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقربات القلوب؟..... ١٣٧

٣ - المتساهل في توثيق ديونه بالإشهاد أو غيره على غرمائه، فيترك ذلك، فينكره الغرماء، فيدعو عليهم.

٤ - القادر على تغيير داره، فيؤذيه جاره، فلا يُغيّر داره، ثمّ يدعو عليه.

٥ - المفسد لماله الذي رزقه الله تعالى إياه، فيتلف ماله، ثمّ يدعو الله ليرزقه.

٦ - المصرون على المعاصي وأكلوا المال الحرام، وهم قادرون على التوبة والإنابة وترك أكل المال بالباطل، فإنه لا يُستجاب دعاؤهم.

٧ - التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتّى يتسلط الأشرار عليهم.

٨ - المعتصم بغير الله تعالى، والمتوكّل على مخلوق دون الله تعالى.

٩ - المعتذر عن ظلم الظالم، أي من يقول: إنّ الظالم الفلاني معذور في ظلمه، ومن حقّه أن يفعل كذا.

والروايات في ذلك عديدة^(١)، منها: يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أربعة لا يُستجاب لهم دعوة: رجل جالس في بيته يقول: اللهم ارزقني، فيقال له: ألم أمرك بالطلب؟! ورجل كانت له امرأة فدعا عليها، فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك؟! ورجل كان له مال فأفسده فيقول: اللهم ارزقني، فيقال له: ألم أمرك بالاقتصاد؟! ألم أمرك بالإصلاح؟! ثمّ قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ورجل كان له مال فأدانه بغير بيّنة، فيقال له: ألم أمرك بالشهادة؟!»^(٢).

(١) راجع: الكافي ٢: ٥١٠ / باب من لا تُستجاب دعوته.

(٢) الكافي ٢: ٥١١ / باب من لا تُستجاب دعوته / ح ٢.

١٣٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

ويقول رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: ما من مخلوق يعتصم [بمخلوق] دوني إلا قطعته أسباب السموات وأسباب الأرض من دونه، فإن سألتني لم أعطه وإن دعاني لم أجبه»^(١).

ويقول ﷺ: «لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهينَّ عن المنكر، أو ليستعملنَّ الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم»^(٢).
ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته»^(٣).

ملاحظة:

إن الروايات الشريفة تؤكد على ضرورة التزام العبد المؤمن بالدعاء، بجعله منهجاً يومياً في كل حاجة، وأن دعاءه - أيّاً كان - هو ذو فائدة إن عاجلاً أو آجلاً، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: ... وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئاً من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم...»^(٤).

من هنا تؤكد الروايات الشريفة على أن الداعي - بغير الحرام وما لا يرضاه الله تعالى - يصيب إحدى ثلاث:

١ - الاستجابة المعجّلة، وهي منية كلّ داعٍ.

٢ - أن تُبدل الاستجابة للدعاء بدفع بلاء غير معلوم للداعي لو

لم يُدفع عنه لأهلكه.

(١) أمالي الطوسي: ٥٨٥/ ح (١٥/١٢١٠).

(٢) الكافي ٥: ٥٦/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ح ٣.

(٣) الكافي ٢: ٣٣٤/ باب الظلم/ ح ١٨.

(٤) الخصال: ٢٠٩/ ح ٣١.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٣٩

٣ - وهي أعظمها: أن تُوجَل الاستجابة إلى يوم القيامة، فيُعطى من الثواب ما يتمنى معه أن لم تستجب له دعوة في الدنيا.

يقول رسول الله ﷺ: «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا استجلاب إثم إلا أعطاه الله تعالى بها إحدى خصال ثلاث: إمّا أن يُعجّل له الدعوة، وإمّا أن يدخرها له في الآخرة، وإمّا أن يرفع عنه مثلها من سوء»^(١).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: قال النبي ﷺ: «... فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء، وأخلصت بسرّك لوجهه، فأبشر بإحدى الثلاث: إمّا أن يُعجّل لك ما سألت، وإمّا أن يدخر لك ما هو أعظم منه، وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما إن لو أرسله عليك هلكت»^(٢).

ويقول عليه السلام: «يتمنى المؤمن أنه لم يُستجب له دعوة في الدنيا ممّا يرى من حسن الثواب»^(٣).

السبب التاسع: تعجيل العقوبة:

«لَعَلَّكَ بِجُرْمِي وَجَرِيرَتِي كَافِيَتْنِي»:

هذه الحياة، هي عبارة عن قاعة امتحان عظيمة، الامتحان فيها مفتوح، ما على المرء فيها إلا أن يطبق الجواب على السؤال، مستغلاً الوقت المتاح له، والذي لا يعرف متى سينتهي، وهذا الأمر - أي عدم معلومية انتهاء الوقت - واحد من أهمّ اختبارات هذه القاعة.

تؤكد الروايات الشريفة على أنّ نتيجة هذا الامتحان وإن عرفها

(١) مكارم الأخلاق: ٢٦٩.

(٢) بحار الأنوار ٩٠: ٣٢٣/ح ٣٦، عن مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ١٤٤.

(٣) الكافي ٢: ٤٩١/ باب من أبطأت عليه الإجابة/ ح ٩.

١٤٠ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

بعض مسبقاً، ولكنّه لن يرى جزاءه على النجاح أو الرسوب - لا فرق من هذه الناحية - إلا في البيت الأبدي، والدار الخالدة، تلك هي الدار الآخرة. وهذا يُمثّل القاعدة العامّة لهذا الامتحان.

قال رسول الله الأعظم ﷺ: «... فإنّكم اليوم في دار عمل ولا حساب، وأنتم غداً في دار حساب ولا عمل»^(١).

لكل قاعدة استثناء!

إلا أنّه بالرغم من ذلك، توجد بعض الموارد التي تعجل فيها النتيجة في قاعة الامتحان تلك، فقد تعجل بعض المثوبات للناجحين، وقد تعجل بعض العقوبات للراسيين والفاشلين.

لماذا الاستعجال بالثواب والعقاب؟

أمّا عن تقديم ثواب الأعمال الصالحة، فربّما لا نجد صعوبة في تفسير تقديم بعض المثوبات على الأعمال الصالحة التي تُمثّل الفوز والنجاح في هذا الاختبار، مع العلم أنّ التقديم ليس دائماً من مصلحة العبد، فربّما يكون تقديم بعض الأعمال الصالحة لكافر أو منافق، حتّى يستوفي حقه من تلك الأعمال في الدنيا، فيصل في الآخرة صفر اليد منها!

والتفصيل أن نقول:

إنّ الذي يعمل صالحاً، إمّا أن يكون مؤمناً، وإمّا غيره - سواء كان كافراً أو منافقاً أو مشركاً أو حتّى ملحداً -.

فأمّا المؤمن فتقديم ثواب بعض أعماله لعدّة حِكَم، منها تبشير به بالخير، ودفع غيره للاقتداء به، والإشارة إلى سعة الرحمة الإلهية والثواب بحيث يشمل

(١) الخصال: ٥١ / ح ٦٢.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منفّرات القلوب؟..... ١٤١

الدنيا والآخرة، ولا ينقص هذا من ثوابه في الآخرة شيئاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣١﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ (النحل: ١٢٠ - ١٢٢).

(على أنّ الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام مستفيضة بأنّ من الأعمال ما يوجب الثواب في الدنيا والآخرة، فمن ذلك ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «صلة الأرحام تُزكّي الأعمال، وتُتمّي الأموال، وتدفع البلوى، وتُيسّر الحساب، وتُنسى في الأجل»^(١).

وعنه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعجل الخير ثواباً صلة الرحم»^(٢).

وبسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهشان عند جهده، فنفس كربته، وأعانته على نجاح حاجته، كتب الله ﷻ له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له منها واحدة يُصلح بها أمر معيشته، ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزع يوم القيامة وأهواله»^(٣)...^(٤).

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: «فأمّا الحسنى فالجنة، وأمّا الزيادة فالدنيا، ما أعطاهم الله في الدنيا لم

(١) الكافي ٢: ١٥٠ / باب صلة الرحم / ح ٤.

(٢) الكافي ٢: ١٥٢ / باب صلة الرحم / ح ١٥.

(٣) الكافي ٢: ١٩٩ / باب تفريج كرب المؤمن / ح ١.

(٤) رياض السالكين للمدني الشيرازي ٤: ٢٧١ و ٢٧٢.

١٤٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

يحاسبهم به في الآخرة، ويجمع لهم ثواب الدنيا والآخرة، ويثيبهم بأحسن أعمالهم في الدنيا والآخرة، يقول الله: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]»^(١).

و(في أمالي الصدوق عن الصادق عليه السلام في قوله عَلَيْكَ): ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، قال: «رضوان الله والجنة في الآخرة، والسعة في الرزق والمعاش، وحسن الخلق في الدنيا»^(٢).

وفي النبوي صلى الله عليه وآله: «الحسنة في الدنيا الصِّحَّة والعافية، وفي الآخرة المغفرة والرحمة»^(٣)^(٤).

وأما إذا كان غير مؤمن، فتقديم ثواب عمله لأجل أن الله تعالى حيث إنَّه عادل ولا يخيِّف أحداً أبداً، فإنَّه تعالى كتب على نفسه الرحمة بأن يُعطي الثواب لكل من يعمل صالحاً، بغض النظر عن هويته العقائدية. نعم، من كان على غير الخط الذي رسمه الله تعالى فربَّما عَجَّل الله تعالى له جزاءه ليستوفيه في الحياة الدنيا، فيبقى في الآخرة من غير عمل صالح.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلا أثناه الله»، قال: فقلنا: يا رسول الله، ما إثابة الكافر؟ قال: «إن كان قد وصل رحماً، أو تصدَّق بصدقة، أو عمل حسنة، أثناه الله تعالى المال والولد والصِّحَّة وأشباه ذلك»، قال: فقلنا: ما إثابته في الآخرة؟ قال:

(١) تفسير القمِّي ١: ٣١١، عنه بحار الأنوار ٧: ٢٦٠ / ح ٦.

(٢) معاني الأخبار: ١٧٤ و ١٧٥ / باب معنى حسنة الدنيا وحسنة الآخرة / ح ١، ولم نجده في أماليه.

(٣) بحار الأنوار ٧٨: ١٧٤.

(٤) مستدرک سفينة البحار للنازي ٢: ٢٩٠ و ٢٩١.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٤٣

«عذاباً دون العذاب»، قال: وقرأ: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]»^(١).

وأما عن تقديم عقاب بعض الأعمال السيئة، فهو ما ربّما نواجه فيه شبهة أو سؤالاً، إذ عرفنا أنّ الدنيا دار عمل بلا حساب، فكيف يُحاسب المذنب هنا في الدنيا؟

وفي الحقيقة، يمكننا تلمّس العديد من الحكّم في هذا التقديم للعقاب، نذكر منها:

أولاً: إنّ الذي يُوجّل من العقاب على الذنوب أكثر بكثير من الذي يُعجل، فلا يُعدّ تقديم البعض القليل خرقاً للقاعدة ولا منافياً للحكمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (فاطر: ٤٥).

ثانياً: إنّ الأصل ليس هو تأخير العقوبة، بل هو تعقيب الذنب بالعقوبة، كحال القوانين الوضعية اليوم، فليس في الجريمة تأخير، وإنّما تكون المؤاخظة ساعة ثبوت الجريمة، فالأصل في المخالفة هو العقوبة، والتأخير هو الذي يحتاج إلى دليل، والدين أجّل أغلب العقوبات، ورفع عنا الإصر الذي كان على الأمم السابقة...^(٢).

(١) مستدرک الحاكم ٢: ٢٥٣.

(٢) جاء في تفسير الأمل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٢: ٣٦٩: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾

١٤٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

ولكن من حقّ الشارع المقدّس أن يُقدّم، وتقديمه لا يُعتبر نقضاً للغرض، ولا مخالفاً للأصل.

وفي هذا المجال يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «يَا إلهي، لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتَّى تَسْقُطَ أَشْفَارُ عَيْنَيْي، وَأَنْتَ حَبْتُ حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَفُتُّ لَكَ حَتَّى تَنْشُرَ قَدَمَايَ، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّى يَنْخَلِعَ صُلْبِي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتَّى تَنْفَقَ حَدَقَتَايَ، وَأَكَلْتُ تُرَابَ الْأَرْضِ طَوْلَ عُمْرِي، وَشَرِبْتُ مَاءَ الرَّمَادِ آخِرَ دَهْرِي، وَذَكَرْتُكَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ حَتَّى يَكِلَ لِسَانِي، ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفِي إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ اسْتِحْيَاءً مِنْكَ، مَا اسْتَوْجِبْتُ بِذَلِكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَيِّئَاتِي، وَإِنْ كُنْتُ تَغْفِرُ لِي حِينَ اسْتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ، وَتَعْفُو عَنِّي حِينَ اسْتَحِقُّ عَفْوَكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ لِي بِاسْتِحْقَاقِي، وَلَا أَنَا أَهْلٌ لَهُ بِاسْتِجَابِ، إِذْ كَانَ جَزَائِي مِنْكَ فِي أَوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ النَّارَ، فَإِنْ تُعَذِّبْنِي فَأَنْتَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِي...»^(١).

⇒ كما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا [البقرة: ٢٨٦]: (الإصر) عقد الشيء وحسبه. وتُطَلَّقُ عَلَى الْحَمْلِ الثَّقِيلِ الَّذِي يَمْنَعُ الْمَرْءَ مِنَ الْحَرَكَةِ. وكذلك العهد المؤكّد الذي يُقَيَّدُ الْإِنْسَانَ. ولهذا تُطَلَّقُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى الْعِقَابِ أَيْضاً. وفي هذا المقطع من الآية يطلب المؤمنون من الله تعالى طلبين: الأوّل: أن يرفع عنهم الفروض الثقلية التي قد تمنع الإنسان من إطاعة الله، وهذا هو ما ورد على لسان النبي صلى الله عليه وآله بشأن التعاليم الإسلامية، إذ قال: «بُعِثْتُ بِالشَّرِيعَةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ».

هنا قد يسأل سائل: إذا كانت السهولة والسماحة في الدين جيّدة، فلماذا لم يكن للأقوام السابقة مثلها؟ في الجواب نقول: تفيّد آيات في القرآن أنّ التكالييف الشاقّة لم تكن موجودة في أصل شرائع الأديان السابقة، بل فُرِضَتْ كعقوبات على أثر عصيان تلك الأقوام وعدم إطاعتها، كحرمان بني إسرائيل من أكل بعض اللحوم المحلّلة بسبب عصيانهم المتكرّر).

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ١٠٢، من دعائه عليه السلام في الاستقالة.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٤٥

ثالثاً: إنّ فضاة بعض الذنوب لا تتحمّل التأجيل إلى الآخرة، فلا بدّ من أن يرى الناس عواقبها، فإنّ الله تعالى وإن كان رحيماً وغفوراً، ولكنّه في الوقت ذاته شديد العقاب، وهو يغضب لبعض الأفراد من الناس، وغضبه قد يُنزل العقوبة بالمدنّب وإن كان في الدنيا. والروايات تذكر مفردات تلك الذنوب التي تعجل عقوبتها، كما سنرى إن شاء الله تعالى.

رابعاً: إنّ نفس تعجيل العقوبة هو رحمة إلهية مستعجلة، فإنّ الناس عندما يرون عواقب بعض الذنوب سيعمل العاقلون منهم على اجتنابها، فإنّه رغم التحذيرات الإلهية والمعصومية المتكرّرة، إلّا أنّ كثيراً من الناس قد يغفل عن فضاة تلك الذنوب، فتأتي تلك العقوبات المستعجلة للبعض حتّى تفرع جرس الإنذار في النفوس الغافلة. وفي ذلك يقول رسول الله الأعظم ﷺ: «احذر سكر الخبيثة، فإنّ للخبيثة سكرًا كسكر الشراب، بل هي أشدّ سكرًا منه، يقول الله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]»^(١).

خامساً: إنّ بعض أو أغلب الذنوب المعجّلة عقوبتها هي من قبيل الذنوب الاجتماعية، كعقوق الوالدين وقطع صلة الرحم والبغي على الناس، فتعجيلها فيه تطيب الخواطر وتطمين للقلوب المنكسرة، فإنّ الله تعالى ﴿يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحجّ: ٣٨] وهو «عند المنكسرة قلوبهم»^(٢).

سادساً: هذا فضلاً عن أنّ تعجيل العقوبة يُعتبر أحد مكفّرات الذنوب ومسقطات عقوباتها، وربّما يكون هذا خاصّاً بالمؤمنين الذين

(١) مكارم الأخلاق: ٤٥٣.

(٢) الدعوات: ١٢٠ / ح ٢٨٢.

١٤٦ كيف تُقِيلُ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

يرأف الله تعالى بهم فيُعَجِّلُ عقوبتهم حتَّىٰ يصل إلى الآخرة فارغاً من الذنوب فيدخل الجنة إن شاء الله تعالى.

وهذا ما تشير إليه بعض الروايات، يقول الإمام الصادق عليه السلام:
«إذا أراد الله ﷻ بعبد خيراً عَجَّلَ عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتَّىٰ يوافي بها يوم القيامة»^(١).

ويقول رسول الله ﷺ: «إنَّ المؤمن إذا قارف الذنوب وابتلي بها ابتلي بالفقر، فإن كان في ذلك كَفَّارَةً لذنوبه وإلَّا ابتلي بالمرض، فإن كان ذلك كَفَّارَةً لذنوبه وإلَّا ابتلي بالخوف من السلطان يطلبه، فإن كان في ذلك كَفَّارَةً لذنوبه وإلَّا ضَيَّقَ عليه عند خروج نفسه، حتَّىٰ يلقاه وماله من ذنب يدَّعيه عليه، فيأمر به إلى الجنة»^(٢).

ويقول الإمام علي عليه السلام: «ما من الشيعة عبد يقارف أمراً نهيناه عنه فيموت حتَّىٰ يبتلي ببليّة تُمَحِّصُ بها ذنوبه، إمَّا في مال، وإمَّا في ولد، وإمَّا في نفسه، حتَّىٰ يلقى الله ﷻ وماله ذنب، وإنَّه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيُشَدَّدُ به عليه عند موته»^(٣).

ويقول رسول الله ﷺ، عن جبرئيل عليه السلام، عن الله ﷻ: «يا محمَّد، إنِّي حظرت الفردوس على جميع النبيين حتَّىٰ تدخلها أنت وعليّ وشيعتكم، إلَّا من اقترف منهم كبيرة، فإنِّي أبلوه في ماله أو بخوف من سلطانه حتَّىٰ تلقاه الملائكة بالروح والريحان وأنا عليه غير غضبان، فيكون ذلك حلًّا لما كان منه»^(٤).

(١) الكافي ٢: ٤٤٥ / باب تعجيل عقوبة الذنب / ح ٥.

(٢) مشكاة الأنوار: ١٧٥ / ح ٤٥٢.

(٣) الخصال: ٦٣٦ / حديث أربعائة.

(٤) التمهيد للإسكافي: ٤٠ / ح ٤٠، عنه بحار الأنوار ٤٧: ٣٨١ و ٣٨٢ / ح ١٠٢.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٤٧

ويقول الإمام الرضا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ﴾ منكم ﴿عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]: «إِنَّ مَنْ اعْتَقَدَ الْحَقَّ ثُمَّ أَذْنَبَ وَلَمْ يَتُبْ فِي الدُّنْيَا عُدَّ عَلَيْهِ فِي الْبَرْزَخِ، وَيُخْرَجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ يُسْأَلُ عَنْهُ»^(١).

ويقول رسول الله ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتّى يلقى الله تبارك وتعالى وما عليه من خطيئة»^(٢).

ما هي الذنوب التي تعجل عقوبتها؟

لخصت لنا الروايات الشريفة تلك الذنوب بالتالي:

- ١ - عقوق الوالدين.
 - ٢ - البغي على الناس، وظلمهم، خصوصاً الفقراء، ومن لا يجد ناصرًا إلا الله تعالى.
 - ٣ - كفر الإحسان.
 - ٤ - قطع صلة الرحم.
 - ٥ - المجاهرة بالمعاصي.
 - ٦ - اليمين الكاذبة.
 - ٧ - التقصير في حقّ النعمة.
 - ٨ - الغدر بمن يعاهد على الوفاء.
- والأحاديث الواردة في ذلك عديدة، هذه بعضها:
- قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من الذنوب تُعجّل عقوبتها ولا

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي ٩: ٣٤٣ و ٣٤٤.

(٢) سنن البيهقي ٣: ٣٧٤.

١٤٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

تُوخَّر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان»^(١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه ويكافيك بالإحسان إليه إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك، ورجل يصل قرابته ويقطعونه»^(٢).

وعنه عليه السلام: «في كتاب علي عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهنَّ أبداً حتى يرى وبالهنَّ: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة»^(٣).
وقال الإمام علي عليه السلام - لَمَّا سُئِلَ: أَيُّ ذَنْبٍ أَعْجَلَ عِقُوبَهُ لصاحبه؟ - : «من ظلم من لا ناصر له إلا الله، وجاور النعمة بالتقصير، واستطال بالبغي على الفقير»^(٤).

وعنه عليه السلام: «مجاهرة الله بالمعاصي تُعَجِّلُ النقم»^(٥).

السبب العاشر: قلة الحياء:

«لَعَلَّكَ بِقَلَّةِ حَيَائِي مِنْكَ جَارِيَتِي»:

في حياته الاجتماعية، يحتاج الإنسان إلى التقدير الذاتي من نفسه ومن غيره، حتى قيل: (إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَقُولُ بِلِسَانِ حَالِهِ: يَا نَاسَ احْتَرَمُونِي). ولكي يكتسب الإنسان التقدير، عليه أن يلتزم أموراً متعارفة تُعتَبَر من القوانين الاجتماعية التي لا تقبل المسامحة.

(١) أمالي المفيد: ٢٣٧ / ح ١.

(٢) الخصال: ٢٣٠ / ح ٧١.

(٣) الكافي ٢: ٣٤٧ / باب قطيعة الرحم / ح ٤.

(٤) الاختصاص: ٢٣٤.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٨.

ومن تلك الأمور هي الابتعاد عن معاورة الأفعال الشائنة التي تخالف العفاف، أو تخالف الحياء الاجتماعي، لذلك تجد البعض يُحِبُّ أن يلبس ملابس معيّنة، ربّما رديئة، وربّما قصيرة زيادةً عن المعتاد، ولكنّه يمتنع عنها بسبب أنّ المجتمع لا يقبل ذلك في محيطه، حتّى لو كان عند ذلك الفرد استعداد نفسي لفعل ذلك، ولكنّه يمتنع عن ذلك بسبب قانون وحدود المجتمع، أي إنّ المجتمع يهيمن على أفرادهِ.

ولكن رغم ذلك تجد البعض فاقداً للحياء، فيقوم بكسر طوق المجتمع ويتجاسر على هيئته، فيخرج رافعاً شعار: (خالف تُعرّف)، فيخرج لابساً ما لا يرضاه المجتمع، وقُلْ مثل ذلك في الرضا بملابس الأولاد والزوجة، وقُلْ مثله في قضية الألفاظ، وغيرها.

في الحديث عن رسول الله ﷺ: «لم يبقَ من أمثال الأنبياء إلا قول الناس: إذا لم تسحى فاصنع ما شئت»^(١).

والعلاقة مع الله تعالى أيضاً تخضع لهذا القانون، قانون الحياء، فمن يتذكّر ويستحضر المراقبة الإلهية لا يمكنه أن يتجرأ على مخالفته ومعصيته، لأنّ حياءه منه تعالى يمنعه، ومن هنا يمكن القول: إنّ مصدر ذنب العارف بالمراقبة الإلهية هو عدم الحياء، بمعنى أنّ الإنسان إذا كان حياً من الله تعالى، وكان عارفاً بالمراقبة الإلهية، فإنّه لن يعصي الله تعالى، ولكنّه إذا كان عارفاً ومع ذلك عصاه، فهذا معناه أنّه لا يستحيي من الله تعالى، وإلا فلو كان حياً لما جاهر الله تعالى بالمعصية.

وهذا الكلام ليس تنظيراً نظرياً فقط، بل هو أمر عملي وابتلائي

(١) أمالي الصدوق: ٦٠٠ / ح (١ / ٨٣٠).

١٥٠ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

يومي، الإمام السجّاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي يقول: «فَلَوْ أَطَّلَعَ
الْيَوْمَ عَلَى ذَنْبِي غَيْرَكَ مَا فَعَلْتُهُ، وَلَوْ خِفْتُ تَعْجِيلَ الْعُقُوبَةِ لَأَجْتَنَبْتُهُ»^(١).

فالإنسان عادةً يستحيي من الإنسان الآخر، فلا يجاهر بالمعصية
أمامه، خصوصاً إذا كانت تلك المعصية ممَّا يُقلِّل من شأن الإنسان
ويهتك حرمة، ولكن البعض رغم اطلاع الله تعالى عليه فإنه يجاهره
بالمعصية!

يقول تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ
مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
مُحِيطاً﴾^(١٨) (النساء: ١٠٨).

إنَّ قَلَّةَ الحياء من الله تعالى وبالتالي انعدامه، تُجرِّئ الإنسان على المعصية،
وبالتالي تُؤثِّر على القلب سلباً، فينتكس ويدبر عن الحقِّ جَلَّ وعلا.

ولذا يُحذِّرنا الإمام الصادق عليه السلام من معاقرة الذنوب لأسباب
عديدة، أهمُّها أنَّ الله تعالى حيث إنَّه مطَّلِع علينا، فلربَّما أخذنا بذنوبنا،
يقول عليه السلام: «إذا هممت بسيئة فلا تعملها، فإنَّه ربَّما اطَّلَعَ الله على العبد
وهو على شيء من المعصية فيقول: وعزَّتي وجلالي لا أغفر لك بعدها
أبدًا»^(٢).

الحياء والإيمان:

من هنا، تجد الروايات الشريفة تُؤكِّد على أنَّ من أهمِّ ما يجعل
الإنسان مطيعاً لله تعالى ولا يعصيه أبداً هو أن يكون حياً من الله تعالى.

(١) الصحيفة السجّادية (أبطيحي): ٢١٧.

(٢) الكافي ٢: ١٤٣ / باب تعجيل فعل الخير/ ح ٧.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٥١

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الحياءُ يصدُّ عن القبيح»^(١)، و«على قدر الحياء تكون العفة»^(٢).

بل ربط الإمام الباقر عليه السلام بين الحياء والإيمان ربطاً وثيقاً ببيان رائع يقول فيه: «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»^(٣).

بل قال النبي الأكرم ﷺ: «الحياء هو الدين كله»^(٤).
ولذا فإنه «لا حياء لمن لا دين له» كما قال الإمام الحسن عليه السلام^(٥)،
كما أنه «لا إيمان لمن لا حياء له» كما قال الإمام الصادق عليه السلام^(٦).

مفردات من قلّة الحياء مع الله تعالى:

أولاً: الابتهاج بالذنب رغم الاطّلاع الإلهي، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «يّاك والابتهاج بالذنب، فإنّ الابتهاج به أعظم من ركوبه»^(٧).

ثانياً: عدم الحياء من الله تعالى في الخلوة، رغم الحياء من الناس، فإنّ فاعل ذلك جبان بكلّ تأكيد، لأنّه لا يستطيع أن يواجه المجتمع بذنبه، ولكنّه في الوقت ذاته لا حياء له، لأنّ الله تعالى رغم اطّلاعه عليه ومسامحته له فإنّه يعصيه ويستغلّ رحمته جلّ وعلا.

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٢٨.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٣٢٧.

(٣) الكافي ٢: ١٠٦ / باب الحياء / ح ٤.

(٤) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٥٩٥ / ح ٣٨٦٢.

(٥) بحار الأنوار ٧٥: ١١١ / ح ٦، عن كشف الغمّة للإربلي ٢: ١٩٤.

(٦) الكافي ٢: ١٠٦ / باب الحياء / ح ٥.

(٧) نزّهة الناظر للحلواني: ٩٢ / ح ١٧.

١٥٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ»^(١).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «من ارتكب الذنب في الخلاء لم يعبأ الله به»^(٢).

من هنا قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «خف الله جلَّ ذكره لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «استحي من الله استحياءك من صالحي جيرانك، فإن فيها زيادة اليقين»^(٤).

ثالثاً: استعمال نِعَمِ اللَّهِ تعالى في معصيته، وهذا من أشد أنواع عدم الحياء! فالله تعالى جهَّزك بكل الآلات التي تخدمك وتُقدِّم لك ما تريد، ولكن مع الأسف البعض يستعمل تلك الآلات في المعاصي.

يداك ورجلاك، فمك ولسانك، بطنك وفرجك، عقلك وذكاؤك، أموالك وجاهك، سلطتك وسطوتك، وكلُّ وجودك هوهبة مجّانية من الله تعالى، فيا قلّة حياء من لا يحسن استعمال هذه الآلات في ما يرضاه الله تعالى.

إنَّ حقَّ تلك الآلات - لولا الرحمة الإلهية - هو أن يُحاسَبنا الله تعالى عليها، أي على مجرّد تزويدنا بها، فضلاً عن كيفية استخدامها، ولكن وكما يقول مولانا الإمام السجّاد عليه السلام: «... ثُمَّ لَمْ تَسْمُهُ

(١) نهج البلاغة: ٥٣٢ / ح ٣٢٤.

(٢) الخرائج والجرائح للراوندي ٢: ٥٩٤ / ح ٥.

(٣) نزهة الناظر: ٨٩ / ح ٢.

(٤) بحار الأنوار ٧٥: ٢٠٠ / ح ٢٨، عن مصباح الشريعة: ١٦٣.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منفرات القلوب؟..... ١٥٣

الْقِصَاصَ فِيمَا أَكَلَ مِنْ رِزْقِكَ الَّذِي يَقْوَى بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ، وَلَمْ تَحْمِلْهُ عَلَى الْمُنَاقَشَاتِ فِي الْأَلَاتِ الَّتِي تَسَبَّبَ بِاسْتِعْمَالِهَا إِلَى مَغْفِرَتِكَ، وَلَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ لَذَهَبَ بِجَمِيعِ مَا كَدَحَ لَهُ وَلَصَّارَتْ جُمْلَةً مَا سَعَى فِيهِ جَزَاءً لِلصُّغْرَى مِنْ مَنِّكَ، وَلَبَقِيَ رَهِينًا بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَائِرِ نِعَمِكَ، فَمَتَى كَانَ يَسْتَحِقُّ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِكَ؟...»^(١).

كيف تكون حياً من الله تعالى؟

إنَّ أحاديث أهل البيت عليهم السلام لم تنس هذا الجانب، بل أشبعته بالبحث وأغنتنا عن تجشّمه، وهم بذلك رسموا لنا الطريق السالكة نحو الحياء الممدوح من الله تعالى، والروايات أكّدت على عدّة نقاط تمثّل الطريق نحو الحياء، وهي:

أولاً: تذكّر المراقبة الإلهية:

كما تقدّمت الأحاديث في ذلك، ونكرّها هنا، وهي:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «خف الله جلّ ذكره لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك»^(٢).

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «استحي من الله استحياءك من صالح جيرانك، فإنّ فيها زيادة اليقين»^(٤).

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٢٨، من دعائه عليه السلام في الشكر.

(٢) نزّهة الناظر: ٨٩ / ح ٢.

(٣) تحف العقول: ٣٩٤.

(٤) بحار الأنوار ٧٥: ٢٠٠ / ح ٢٨، عن مصباح الشريعة: ١٦٣.

ثانياً: تذكّر مراقبة الملكين:

قال رسول الله ﷺ: «ليستحي أحدكم من ملكيه اللذين معه، كما يستحي من رجلين صالحين من صالح جيرانه، وهما معه بالليل والنهار»^(١).

ثالثاً: تذكّر الموت وأنه قادم لا محالة:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام مذكراً لنا بحتمية الموت: «أنتك تريد الموت الذي لا ينجو [منه] هاربه، ولا بدّ أنّه يُدرّك يوماً، فكن منه على حذر أن يُدرّك على حالٍ سيئة قد كنت تُحدّث نفسك فيها بالتوبة، فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك. أي بني، أكثر ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتُفضي بعد الموت إليه، واجعله أمامك حتّى يأتيك وقد أخذت منه حذرک، ولا يأخذك على غرّتک»^(٢).

رابعاً: الزهد في الدنيا:

وذلك يتم من خلال عدّة طرق، من أهمّها تذكّر نعيم الآخرة وما فيها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وأكثر ذكر الآخرة وما فيها من النعيم والعذاب الأليم، فإنّ ذلك يُزهدك في الدنيا ويصغرها عندك»^(٣).

خامساً: الإدارة الإيمانية لأدوات الرأس:

وهي اللسان والعينان والأذنان، وآثار كلّ واحدة - الإيجابية والسلبية - أوضح من الشمس، وأبين من الأمس.

سادساً: اللقمة الحلال:

فإن لها أثراً بالغاً في حياة الإنسان مطلقاً، فينبغي على المؤمن

(١) شعب الإيمان ٦: ١٤٦ / ح ٧٧٣٩.

(٢) تحف العقول: ٧٦.

(٣) المصدر السابق.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٥٥

الوقوف على مطالع الحلال فقط والابتعاد عن كلّ ما فيه حرام، بل وشبهة. وهذا يحكي عن حياء من الله تعالى أن يبرز له بصلاته ببطن حاوية للحرام.

وقد جمع هذه المعاني الأربعة الأخيرة قول رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حقّ الحياء»، ف قيل: يا رسول الله، ومن يستحي من الله حقّ الحياء؟ فقال: «من استحي من الله حقّ الحياء فليكتب أجله بين عينيه، وليزهد في الدنيا وزينتها، ويحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، ولا ينسى المقابر والبللى»^(١).

وقول الإمام الكاظم ع: «رحم الله من استحي من الله حقّ الحياء، فحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وذكر الموت والبللى، وعلم أنّ الجنة مخوفة بالمكاره، والنار مخوفة بالشهوات»^(٢).

هل الحياء دائماً ممدوح؟

واضح بأدنى اطلاع أنّ كثيراً من الأحكام الشرعية المحظورة تباح عند ضرورة ما، أو عند هدف أهمّ، وهو ما يُعبّر عنه بالأحكام الأوّلية والثانوية، فالرياء مبطل للعمل، ولكنّه إذا قُصد به التعليم صحّ واستُحبّ، بل لم يكن آنذاك رياءً. وأكل الميتة حرام، ولكن إذا توقّف عليه إنقاذ النفس جاز. ومن هذا الباب الحياء، فهو مطلوب في العلاقة مع الله تعالى، ومع الناس إذا اعتُبر من حسن الخلق، ولكن في الوقت ذاته تجد موارد يكون الحياء مع الناس فيها مذموماً، والموارد عديدة، نذكر منها:

(١) بحار الأنوار ٦٧: ٣١٧ / ح ٢٤، عن كتاب الزهد للحسين بن سعيد الكوفي: ٤٥

و٤٦ / ح ١٢٢.

(٢) تحف العقول: ٣٩٠.

أولاً: خدمة الضيف:

ربّما يكون البعض ذا منصب وجاه، فهو مخدوم على الدوام، ولكن مهما كان جاهه، فإنّه ينبغي له أن يخدم ضيفه، وخدمته لضيفه لا تُنزل من قيمته، بل على العكس ترفع من شأنه، لأنّ خدمته لضيفه تحكي عن حبه له، وعن تواضعه لغيره، والتواضع من صفات العظماء.

عن ابن أبي يعفور، قال: رأيت عند أبي عبد الله عليه السلام ضيفاً، فقام يوماً في بعض الحوائج، فنهاه عن ذلك، وقام بنفسه إلى تلك الحاجة، وقال عليه السلام: «نهى رسول الله ﷺ عن أن يُستخدم الضيف»^(١).

إنّ في خدمة الضيف (تعبيراً عن المودّة والاعتزاز والتواضع والبساطة، وفي ذلك ثواب كريم، لقول رسول الله ﷺ: «أيما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلّا أعطاه الله مثل عددهم خدّاماً في الجنّة»^(٢))، وقد يأنف البعض أن يقوم بنفسه في خدمة ضيفه، فيرى من الشرف أن يُكلّف خادمه بذلك، بينما يقول الإمام الصادق (سلام الله عليه): «أربع لا ينبغي لشريف أن يأنف منها: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وقيامه لدابّته ولو أنّ له مائة عبد، وخدمته لمن يتعلّم منه»^(٣)^(٤).

ثانياً: احترام الأب والمعلّم:

ولا شكّ في ذلك، وهل يمكن لأحد أن ينكر ضرورة احترامهما، وهما اللذان يكونان سبباً في وجودك (الأب) وحياتك (المعلّم).

(١) الكافي ٦: ٢٨٣ / باب كراهية استخدام الضيف / ح ١.

(٢) الكافي ٢: ٢٠٧ / باب في خدمته / ح ١.

(٣) راجع: شرح إحقاق الحقّ للمرعشي ١٩: ٥٣٢، عن الأنوار القدسية للشعراني: ٣٦ - ٣٨ / ط السعادة بمصر.

(٤) أدب الضيافة لجعفر البياتي: ١٤٨ و ١٤٩.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقربات القلوب؟..... ١٥٧

واحترامها أول وأهم حقوقها، وتلك الحقوق كثيرة، سطرها الإمام
السَّجَّادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ باختصار في رسالته في الحقوق:

«... وحقُّ سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن
الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، وأن لا تجيب
أحدًا يسأله عن شيء حتَّى يكون هو الذي يجيب، ولا تُحدِّث في مجلسه
أحدًا، ولا تغتاب عنده أحدًا، وأن تدفع عنه إذا دُكِرَ عندك بسوء، وأن
تستر عيوبه وتُظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوًّا ولا تعادي له وليًّا، فإذا
فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلّمت علمه الله جلَّ
اسمه لا للناس...، وأمَّا حقُّ أبيك فأنت تعلم أنه أصلك، وأنه لولاه لم
تكن، فمهما رأيت في نفسك ممَّا يُعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة
عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك. ولا قوَّة إلا بالله...»^(١).

ثالثًا: المطالبة بالحقِّ:

فهي علامة صدق الإيمان، سواء كان الحقُّ شخصياً أو عاماً، ف
«أفضل الجهاد كلمة حقِّ عند سلطان جائر»^(٢)، ومن استحيى من طلب
حقِّه عاش الحرمان والخيبة، فعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتقى الناس من قال
الحقَّ فيما له وعليه»^(٣).

وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنَّ على المؤمن سبعة حقوق،
فأوجبها أن يقول الرجل حقًّا وإن كان على نفسه أو على والديه، فلا
يميل لهم عن الحقِّ»^(٤).

(١) الخصال: ٥٦٧ و ٥٦٨.

(٢) عوالي اللئالي ١: ٤٣٢ / ح ١٣١؛ مستدرک الحاكم ٤: ٥٠٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٩٥ / ح ٥٨٤٠.

(٤) تفسير القمّي ١: ١٥٦.

١٥٨ كيف تُقِيل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

وعن رسول الله ﷺ: «ألا لا يمتنعنَّ رجلاً مهابة الناس أن يقول بالحقِّ إذا علمه...، ألا وإنَّ أفضل الجهاد كلمة حقَّ عند سلطان جائر»^(١).

رابعاً: التعلّم:

فلا حياء في طلب العلم، ولا إرث للحياء فيه إلا الجهل، وهذا ما لا ينكره أحد، فعليك أن تطلب العلم كما طلبه كميل بن زياد في قصّة دعاء الخضر المعروفة^(٢).

عليك أن تطلبه كما طلبه علماؤنا، إنهم تركوا الأوطان وجاعوا وتغرّبوا وتركوا الأموال في سبيل أن يحصلوا على العلم.

واعلم أنّنا لا نستطيع أن نفعل ما فعلوا، ولكن هناك قدراً مهماً من العلم لا يجوز لأحد أن يستغني عنه أو أن يجهله أو يتجاهله، كبعض المسائل الفقهية الداخلة في الابتلاء اليومي، كالطهارات والصلاة والصوم والخمس والتجارات ومسائل التواصل الاجتماعي وما أشبهها، فلا بدّ على المرء أن يطلبها من دون حياء، إلا فسيقول الله تبارك وتعالى له يوم القيامة: لِمَ لم تتعلم؟!

خامساً: الاعتراف بالجهل:

لم يُكتَب للإنسان في هذه الحياة أن يكون عالماً بجميع ما في الكون وما في الوجود، بل إنّ جهات الجهل التي تحيط به هي أكثر بكثير من جهات العلم، بل لا قياس بين الأمرين! ومعه، فلا يمكن للإنسان - ما عدا المعصوم طبعاً - أن يكون عالماً بكلّ شيء، وبالتالي لا يمكنه أن

(١) مستدرک الحاكم ٤: ٥٠٦.

(٢) راجع: إقبال الأعمال ٣: ٣٣١.

الفصل الثالث: كيف أمتجّب منقّرات القلوب؟..... ١٥٩

يجيب عن كلّ ما يُسأل، وعليه أن يعترف بجهله من دون حياء، فليس العيب في أن يعترف أحد بجهله، إنّما العيب أن يدّعي مقاماً ليس هو من أهله، كمن يدّعي العلم وهو أقرب للجهل منه إلى العلم، ولذا وردت التعليمات التربوية الدينية بشأن ذلك، وأنّ على الإنسان أن لا يستحي من أن يقول: (لا أعلم) للشيء الذي لا يعلمه.

وقد أخذت الأحاديث على عاتقها بيان هذه المفردات، نذكر بعضها:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من رَقَّ وجهه رَقَّ علمه»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحياء حياءان: حياء عقل، وحياء حمق.

فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل»^(٢).

وقال الإمام علي عليه السلام: «من استحيى من قول الحق فهو أحمق»^(٣).

وقال عليه السلام: «لَا يَسْتَحِينَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحِينَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ»^(٤).

الجانب الثاني: إديار القلوب مع البشر:

إنّ قلوب البشر تخضع لقانون التبدّل والتغيير، فليست هي على حالة واحدة دائمة، وإنّما هي تتقلّب، ولذلك سُمّي القلب قلباً! ولتغيّرها أسباب، فلاقبالها أسباب، ولإديارها أسباب أيضاً، وقد تقدّم في الفصل الثاني أسباب إقبالها، والآن الكلام عن أسباب إديارها مع البشر.

(١) الكافي ٢: ١٠٦ / باب الحياء / ح ٣.

(٢) الكافي ٢: ١٠٦ / باب الحياء / ح ٦.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٠.

(٤) نهج البلاغة: ٤٨٢ / ح ٨٢.

١٦٠ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

خلق الله تعالى بني آدم بصورة واحدة متشابهة، فالإنسان نظير الإنسان في الخلق، وهذا يعني أن من شأن هذا أن يتآلف الناس فيما بينهم، تآلف كل شبيهه وشبيهه.

فلماذا نجد الناس يتباغضون ويتنافرون؟

ولماذا لا نجد قلوبهم متآلفة دائماً؟

ولماذا تُدبر القلوب بعضها عن البعض الآخر؟

هناك أسباب عديدة تجعل القلوب تُدبر بعضها مع البعض الآخر، وعلى من يريد أن يجعل القلوب مدبرة عنه أن يلتزم تلك الأسباب!

وأما من يريد أن يجذب القلوب إليه، وأن يقلب إدارها إقبالاً، فعليه أن يتعد عنها، وأن يهرب منها هروبه من الأسد أو من مرض جذام!

أسباب إدبار قلوب البشر وتنافرها:

لقد ذكرت الأدبيات الدينية كثيراً من هذه الأسباب، وهي أسباب موضوعية جاء الدين ليرشدنا إليها، ويُعرفنا بها، وهي عديدة، نذكر منها:

السبب الأوّل: خبث السريرة:

صحيح أن الإنسان يتعامل مع الظاهر، وصحيح أن معرفته بالباطن محدودة جداً، ولكن في خصوص المودات فإن القلوب لها القابلية^(١) على اكتشاف الصادق منها من الكاذب، وقد تقدّم في الفصل

(١) القابلية وليست الفعلية.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٦١

الأوّل أنّ أهمّ الأمور التي تكشف عن صدق المودّة هي شهادة القلب، فإنّه شاهد لا يقبل الرشوة. وبالتالي، فإنّ سوء السريرة وخبثها يُرسل رسالة لا مرئية متوجّهة نحو القلب تُخبره بكذب المودّة، وفي لا شعور الإنسان تحدث ظاهرة معاكسة لتلك الرسالة ينشأ عنها سوء الظنّ من الطرف الآخر، وبالتالي ستتنافر القلوب من حيث لا تعلم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازُرُونَ، وَلَا تَنَاصِحُونَ، وَلَا تَبَازُلُونَ، وَلَا تَوَادُّونَ»^(١).

ما أعظمك يا أمير المؤمنين، تُعطي المرض وتُعطي أعراضه وتُعطي نتيجة الإصابة به، فالمرض هو سوء السريرة والضّمائر، وأعراضه لمن يريد أن يكتشفها هي:

أ - عدم التآزر، بل الأفراد المرضى بذلك المرض متفكّكون وغير متعاونين، فإذا رأيت أفراداً كذلك فاعلم أنّهم قد أُصيبوا بذلك المرض أو أوشكوا.

ب - عدم التناصح، فحتّى لو رأى أخاه على أمر قبيح، فإنّه يغضّ الطرف عنه، كأنّه ينتظر منه الوقوع في الحفرة ليثمت به!

ج - عدم التبادل، فتجد أحد أولئك المرضى ميسور الحال، ويرى أخاه في حالة الصيهد المالى، ولكنه لا يُحرّك ساكناً ولا يُغيّر من موقف! ونتيجة ذلك المرض هو عدم التوادّ والمحبّة، فالأفراد إذا لم يتواصلوا ولم يتبادلوا ولم يتآزروا ولم يتناصحوا، فإنّ النتيجة الطبيعية لهذه الصفات هي فقدان المودّة وانعدام المحبّة فيما بينهم!

(١) نهج البلاغة: ١٦٨ / الخطبة ١١٣.

السبب الثاني: سوء الخُلُق:

لسنا في صدد بيان الآثار السيئة المترتبة على سوء الخُلُق، بل في صدد بيان أثره في انعدام المودّة فقط، وهذا ما أكّده الروايات الشريفة، ولكن ينبغي الالتفات - وهذه قاعدة عامّة - أنّ الروايات الشريفة عندما تذكر آثاراً تترتب على أمر ما، فإنّها لا تتعامل بالمثاليات والخياليات! كلاً، إنّما هي تتكلّم عن واقع يعيشه الأفراد، ولكنهم ربّما يغفلون عن ترتب تلك الآثار على ذلك الأمر، فتأتي الروايات الشريفة لترشد الناس إلى تلك الآثار.

وفي سوء الخُلُق، تذكر الروايات الشريفة آثاراً عجيبة عليه، كلّها تؤدّي إلى فقدان المودّة، وبالتالي إديار القلوب وتنافرها.

فاقرأ هذه الروايات بتمعّن، واربطها بالواقع الذي تعيشه مع أفراد أخلاقهم سيئة، لترى بعينك انعدام المودّة.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «من ساء خُلُقُه ملّه أهله»^(١).

وقال عليه السلام: «من ساء خُلُقُه أعوزه الصديق والرفيق»^(٢).

وقال عليه السلام: «من ساء خُلُقُه ضاق رزقه»^(٣).

ففرّد يعيش ضيق الرزق، ولا صديق يؤازره، ولا أهله يُجِبُّونه، هل ترى أسوأ منه في نفرة القلوب عنه! وهذا ما عبّرت عنه الروايات الشريفة بأنّ صاحب الخُلُق السيئ سيكون معدّباً لنفسه.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من ساء خُلُقُه عذب نفسه»^(٤).

(١) تحف العقول: ٢١٤.

(٢) ميزان الحكمة ١: ٨٠٧.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٣١.

(٤) الكافي ٢: ٣٢١ / باب سوء الخُلُق / ح ٤.

السبب الثالث: تتبّع العيوب:

على الإنسان أن يُسَلِّمَ أمراً واقعياً لا محيص عنه، وهو: أنّ العصمة ليست قاعدة عامّة في البشر، وإنّما العصمة لأهلها، وأهلها معروفون، وغيرهم معرّضون للخطأ، ألف سبب وسبب يوقعهم في الخطأ، وهذا يعني أنّ علينا أن نتقبّل الأخطاء من أنفسنا ومن غيرنا. نعم، تقبّلنا لها لا يعني الرضا بها، بل يعني العمل على تصحيحها، ولكن الواقع هو أنّ الإنسان معرّض للخطأ، وبالتالي لا يمكنك أن تجد صديقاً خالٍ من الأخطاء، أي إنّ لا بدّ أن تتقبّل حقيقة أنّ أصدقاءك لديهم عيوب عديدة^(١). وأمام هذه العيوب يقف الإنسان موقف المسؤولية، ولم يتحمّل هذه المسؤولية لتنافرت القلوب عنه، ولأدبرت عن محبّته، إذ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من تتبّع خفّيات العيوب حُرِمَ مودّات القلوب»^(٢).

ومسؤوليته تتضمّن:

أولاً: عدم تتبّع عيوب الآخرين، فإنّ تتبّعها من أخلاق المنافقين، وفي ذلك روي عن إسحاق بن عمّار أنّه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله عليه السلام: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تدمّوا المسلمين، ولا تتبّعوا عوراتهم، فإنّه من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله تعالى عورته يفضحه ولو في بيته»^(٣).

(١) يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من لم يؤاخ إلا من لا عيب فيه قلّ صديقه. (نزّهة الناظر: ١١٥ / ح ٥٤).

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٦.

(٣) الكافي ٢: ٣٥٤ / باب من طلب عشرات المؤمنين وعوراتهم / ح ٢.

١٦٤ كيف تُقِيلِ القلوب، ولماذا تُدْبِر؟

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنَّ أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يواخي الرجلُ الرجلَ على الدين فيُحصي عليه عثراته وزلَّاته لِيُعَنِّفَهُ بها يوماً ما...»^(١).

والأفضل أن يتابع المرء عيوب نفسه ويشغل بها، ففي ذلك صلاح نفسه وغيره. وهذا ما أكَّده أمير المؤمنين عليه السلام في كثير من أحاديثه، فمثلاً يقول عليه السلام: «أفضل الناس من شغلته معايبه عن عيوب الناس...، كفى بالمرء شغلاً بمعايبه عن معايب الناس...، كفى بالمرء غباوة أن ينظر من عيوب الناس إلى ما خفى عليه من عيوبه...، لينهك عن معايب الناس ما تعرف من معايبك...، ليكف من علم منكم من عيب غيره لما يعرف من عيب نفسه...، من أبصر عيب نفسه لم يعب أحداً...، من أنكر عيوب الناس ورضيها لنفسه فذلك الأحمق...، لا تتبعنَّ عيوب الناس فإنَّ لك من عيوبك (ان عقلت) ما يُشغلك أن تعيب الناس»^(٢).

ثانياً: التغافل عن عيوب الآخرين لو انكشفت، فإنَّ ذلك من أخلاق المؤمنين، فقد ورد في وصايا الإمام زين العابدين عليه السلام: «اعلم يا بني، أنَّ صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين: إصلاح شأن المعاش ملء مكيال ثلاثه فطنة وثلاثه تغافل، لأنَّ الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه ففطن له»^(٣).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «صلاح شأن الناس التعايش والتعاشر ملء مكيال: ثلاثه فطن، وثلاث تغافل»^(٤).

(١) الكافي ٢: ٣٥٥ / باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم / ح ٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ١٤: ٢٠٢ و ٢٠٣ / ح (٦/٢٢٧٣).

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ٢٣١ / ح ٧.

(٤) الدرّة الباهرة للشهيد الأوّل: ٥ / ح ٢، عنه بحار الأنوار ٧١: ١٦٧ / ح ٣٤.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٦٥

وستر العيوب مطلوب من الله تعالى، لأنه تعالى لا يُحِبُّ أن تشيع الفاحشة في المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور: ١٩).

ثالثاً: وحينئذٍ ستتكشف لنا بعض الحكمة في مبعوضة بعض التصرفات الاجتماعية، كالغيبة والنميمة وظنُّ السوء والتجسس والدخول بين اثنين لم يدخلها في أمرهما وغيرها.

السبب الرابع: الكبر:

للنفس أفعال وانفعالات، ويترتب على كل منها آثار معينة، وهي - أي الأفعال والانفعالات - تتأثر بدرجة إيمانها وصفائها، فمن كانت نفسه مؤمنة صافية، فإنها تفعل ما يصلح دنياها وآخرتها، وتنفع المجتمع، وتنفع الدين، وتنفع الكون كله، فتنفع هي بذلك أيضاً. وأمّا من كانت نفسه مريضة فما يصدر عنها من أفعال ستكون مريضة عليلة، وانفعالاتها ستكون كذلك.

ومن ضمن أفعال النفس المريضة: التكبر على الآخرين، والنظر إليهم بعين الاحتقار، ورؤية المرء نفسه أعظم من غيره، فإن هذا الخلق يحكي عن نفس مريضة، وعن إنسان نزع إنسانيته ليقترّب من أقلّ البهائم، إنّه نسي أنّ كلّ البشر يرجعون لآدم، وآدم خُلِقَ من تراب، نسي أنّه عندما يضع يده على كلّ فرد فرد، فإنّه يجده إمّا أخاً له في الدين، أو نظيراً له في الخلق^(١)، فما من سبب يدعو أحداً إلى التكبر على غيره.

(١) أنظر: نهج البلاغة: ٤٢٧/ ح ٥٣.

١٦٦ كيف تُقْبِلُ القلوب، ولماذا تُدْبِر؟

عن زرارة، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قالوا: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(١).

فلاحظ دقة الحديث، إنه يجعل الكبر صفة للقلب والنفس، فهو من أفعالها، والكبر له وزن، والنفس كلما ابتعدت عن الإيمان كلما زاد وزن الكبر فيها، والعكس بالعكس، فالعلاقة بين الإيمان والكبر عكسية.

وهذه الصفة هي من موجبات قطع المودة وإدبار قلوب البشر عن المتكبر، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس لمتكبر صديق»^(٢)، «ومن استطال على الأخوان لم يخلص له إنسان»^(٣).

ولو لم يكن في الكبر إلا هذا الأثر لكان حرياً بالحر أن يتواضع ويتعد عن الكبر.

فكيف إذا كان للكبر عدة آثار سيئة، خصوصاً في الآخرة؟!

عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يُقال له: سقر، شكا إلى الله تعالى شدة حره وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتتنفس فأحرق جهنم»^(٤).

وعن داود بن فرقد، عن أخيه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن المتكبرين يُجعلون في صور الذرّ، يتوطؤونهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب»^(٥).

(١) الكافي ٢: ٣١٠ / باب الكبر / ح ٦.

(٢) محاسبة النفس للكفعمي: ٧٧.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٥٥.

(٤) الكافي ٢: ٣١٠ / باب الكبر / ح ١٠.

(٥) الكافي ٢: ٣١١ / باب الكبر / ح ١١.

ولكن، ما هي حقيقة الكبر؟

صحيح أن الكبر والتكبر صفة نفسانية، ولكن هذه الصفة لا تُعرف إلا من خلال آثارها في الخارج، وقد يشتهب البعض فيرمي بعض الناس بأنه متكبر والحال أنه ليس متكبراً، كمن يرى شخصاً حسن الهيئة والهندام، بعيداً عن الوساحة والأقذار، مترفعاً عن الدنيا، فيعتبره متكبراً، والحقيقة ليست كذلك، إذ قد ذكرت الروايات الشريفة معنى التكبر والكبر، وخلاصة معناه هو:

١ - إنَّ الكبر هو الجحود والكفر بالله تعالى.

٢ - إنَّ الكبر هو الجهل بالحقّ والطعن على أهله.

فعن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام، قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر»، قال: فاسترجعت، فقال: «ما لك تسترجع؟»، قلت: لما سمعت منك، فقال: «ليس حيث تذهب، إنّما أعني الجحود، إنّما هو الجحود»^(١).

وعن عبد الأعلى بن أعين، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أعظم الكبر غمص الخلق وسفّه الحقّ»، قال: قلت: وما غمص الخلق وسفّه الحقّ؟ قال: «يجهل الحقّ ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله ﻋَـبَّـدَـك رداءه»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، من مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبر لم يجد رائحة الجنة إلا أن يتوب قبل ذلك»، فقال رجل: يا رسول الله، إنّي ليعجبني الجمال حتّى وددت أن علاقة سوطي وقبال نعلي

(١) الكافي ٢: ٣١٠ / باب الكبر / ح ٧.

(٢) الكافي ٢: ٣١٠ / باب الكبر / ح ٩.

١٦٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

حسن، فهل ترهب عليّ ذلك؟ قال: «كيف تجد قلبك؟»، قال: أجده عارفاً للحقّ مطمئناً إليه، قال: «ليس ذلك بالكبر، ولكن الكبر أن تترك الحقّ وتتجاوزته إلى غيره، وتنظر إلى الناس فلا ترى أحداً عرضه كعرضك ولا دمه كدمك...»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن طلحة: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرّة من خردل من كبر، ولا يدخل النار عبد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»، قلت: جعلت فداك، إن الرجل ليلبس الثوب ويركب الدابة، فيكاد يعرف من نفسه الكبر؟ قال: «ليس ذلك بكبر، إنّما الكبر إنكار الحقّ، والإيمان إقرار بالحقّ»^(٢).

وعن محمّد بن عمر بن يزيد، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنني آكل الطعام الطيب، وأشمّ الريح الطيبة، وأركب الدابة الفارهة، ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجبّر فلا أفعله؟ فأطرق أبو عبد الله عليه السلام ثمّ قال: «إنّما الجبّار الملعون من غمص الناس وجهل الحقّ»^(٣).

السبب الخامس: الاستهزاء:

هناك فرق بين الاستهزاء، وبين الطرفة والنكتة الطريفة والتضحك في الحدود المتعارفة، ممّا كان يفعله رسول الله ﷺ، فالإنسان يحتاج إلى الترفيه عن نفسه بشيء من الطرفة الزكية الخالية من

(١) أمالي الطوسي: ٥٣٨/ ح (١/١١٦٢).

(٢) ثواب الأعمال: ٢٢١ و ٢٢٢.

(٣) الكافي ٢: ٣١١/ باب الكبر/ ح ١٣.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٦٩

الفحش والكذب والسباب، لطيب خاطره، فالابتسامة مهمّة جداً للحياة، وقد تقدّم الكلام عنها.

ولكن الاستهزاء يرجع في حقيقته إلى إذلال الآخر، ومحاولة إخراجِه بصورة ناقصة أو مربكة أو التحايل عليه، ومن يكن كذلك فليئس من المودّة الصادقة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا يطمعن... المستهزئ بالناس في صدق المودّة»^(١).

إنّ الاستهزاء من العوامل التي تُهدّد كيان المجتمع، عندما يرى البعض أنّ غيرهم لا يتماشون مع طريقتهم وقناعاتهم، أو يرون غيرهم يضايقونهم في المال أو المنصب أو غيرها من شؤون الحياة الأخرى، فلكي يُحطّموهم ويمنعوهم من منافستهم، فإنّهم يعمدون إلى إسقاطهم وتحطيم نفسياتهم بالاستهزاء بهم.

(على أيّ حال، فإنّ كلّ عضو من أعضاء المجتمع له موقعه، ويجب الانتفاع منه في توفير المصالح والمنافع الإسلاميّة، وتحقيره يُسبّب عدم إنجاز عمله النافع للمجتمع بصورة صحيحة، ولا يستفاد منه الفائدة المتوخّاة، وواضح أنّ هذا الأمر يضرّ بالمجتمع إضافةً إلى احتمال ترك آثار سيّئة في نفوس الأفراد، وإثارة روح الانتقام والردّ المقابل في الطرف الآخر...، يترتّب على تحقير وتسقيط شخصية الآخرين - إضافةً إلى التبعات الأخلاقية - خسائر وأضرار اجتماعية كبيرة أيضاً، ويهدّد وجود المجتمع وكيانه، وأقلّ أضرار ذلك هو ظهور العداة وتعكير الصفاء، وزوال التعاطف بين أعضاء المجتمع، ممّا يؤدّي إلى عدم المواساة والتعاون والتعايش في المجتمع...)^(٢).

(١) الخصال: ٤٣٤ / ح ٢٠.

(٢) أنظر: الأخلاق في القرآن الكريم للمصباح اليزدي ٣: ٢١٧ - ٢٢٤.

١٧٠ كيف تُقِيلُ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

وعلى كلِّ حالٍ، فإنَّ الاستهزاء ذنبٌ عظيمٌ، يكفي أنَّه من الذنوب التي تُنزلُ النقم، كما ورد هذا عن الإمام السَّجَّاد عليه السلام حيث قال: «... والذنوب التي تُنزلُ النقم: عصيان العارف بالبغي، والتطاول على الناس، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم...»^(١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ (الحجرات: ١١).

وقال تعالى في صفة المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزُونَ ﴿١٤﴾﴾ (البقرة: ١٤).

قال رسول الله ﷺ: «يا بن مسعود، إنهم ليعيون علي من يقتدي بسُنتي وفرائض الله، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٣﴾﴾ إني جزيتهم اليوم بما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٠ و ١١١]»^(٢).

وروي عنه ﷺ: «إنَّ المستهزئين بالناس يُفْتَحُ لأحدهم باب الجنة، فيقال له: هلمَّ هلمَّ، فيجيء بكربه وغممه، فإذا جاء أُغْلِقَ دونه، فما يزال كذلك حتَّىٰ إنَّ أحدهم يُفْتَحُ له الباب من أبواب الجنَّة، فيقال له: هلمَّ، فما يأتيه من الأياس»^(٣).

(١) معاني الأخبار: ٢٧٠ و ٢٧١ / باب معنى تفسير الذنوب / ح ٢.

(٢) مكارم الأخلاق: ٤٥٣.

(٣) شعب الإيمان ٥: ٣١٠ و ٣١١ / ح ٦٧٥٧.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟ ١٧١

وقال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا...﴾ [البقرة: ١٤]: «إِنَّهُمْ كَهَانِهِمْ قَالُوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أَي عَلَى دِينِكُمْ، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾ (١٤) أَي نَسْتَهْزِئُ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، وَنَسْخِرُ بِهِمْ فِي قَوْلِنَا: ﴿آمَنَّا﴾»^(١).

الاستهزاء بالنفس:

هناك بعض من الأفراد الذين لا قيمة لأنفسهم عندهم يعملون على الاستهزاء ليس بالناس فقط، بل إنهم يستهزؤون بأنفسهم! أمّا كيف يكون ذلك؟

فهذا ما بيّنه الإمام الرضا عليه السلام، حيث قال: «سبعة أشياء بغير سبعة أشياء من الاستهزاء: من استغفر بلسانه ولم يندم بقلبه فقد استهزأ بنفسه، ومن سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه، ومن استحزم ولم يحذر فقد استهزأ بنفسه، ومن سأل الله الجنة ولم يصبر على الشدائد فقد استهزأ بنفسه، ومن تعوّد بالله من النار ولم يترك شهوات الدنيا فقد استهزأ بنفسه، ومن ذكر الله ولم يستبق إلى لقاءه فقد استهزأ بنفسه»^(٢). وكذلك ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ»^(٣).

السبب السادس: الذنوب:

لا شك أن للذنوب آثاراً متعدّدة وكثيرة، بعضها مع الله تعالى،

(١) تفسير مجمع البيان ١: ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار ٧٥: ٣٥٦ / ح ١١، عن كنز الفوائد: ١٥٢ و ١٥٣.

(٣) الكافي ٢: ٤٣٥ / باب التوبة / ح ١٠.

١٧٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

وبعضها مع البشر، أي إنَّ للذنوب مردودات سلبية تارةً على علاقة العبد بربه ﷻ، وأخرى على علاقته مع بقيَّة أبناء نوعه. هذا أوَّلاً.

وثانياً: إنَّ آثار الذنوب السلبية بين بني البشر لا تكون فقط بين المذنبين والمؤمنين، بل تتعدَّى ذلك لتُسبب آثاراً سلبية حتَّى بين المذنبين أنفسهم، فكم رأينا من أصحاب المعاصي من كانوا خلائناً، ولكنَّهم أصبحوا أعداء!

وفي المقام، نجد الروايات الشريفة تُؤكِّد على أنَّ الذنوب هي أهمُّ ما يجعل القلوب تتنافر وتتباعد! روي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «والذي نفس محمَّد بيده ما توادَّ اثنان ففُرِّق بينهما إلاَّ بذنب يُجِدِّثه أحدهما»^(١).

وأظنُّ أنَّ هذا الأثر واضح الترتب على الذنوب، فإنَّ العلاقة والمودَّة تنشأ من القلب، فإذا كان الذنب يُفسد القلب فسد ما فيه أيضاً من المودَّة.

يقول الإمام الباقر ؑ: «ما من عبد إلاَّ وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب تلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتَّى يُغطِّي البياض، فإذا غطَّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»^(٢).

هذا بالإضافة إلى أنَّ المودَّة هي نعمة من نعم الله تعالى على العبد، فإذا كانت الذنوب تُذهب بالنعم، فإنَّها تُذهب بالمودَّة أيضاً!

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٦٨.

(٢) الكافي ٢: ٢٧٣ / باب الذنوب / ح ٢٠.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٧٣

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما أنعم الله على عبد نعمة فسلبها إياه حتى يذنب ذنباً يستحقُّ بذلك السلب»^(١).

السبب السابع: كثرة التقرّيع:

كلُّ شيء في الوجود له حدود من جهة البداية والنهاية، تتجاوزها يُؤثّر سلباً شاء المرء أو أبى. والحكمة تكون في المحافظة على الحدود المعقولة لكلِّ شيء.

والنصيحة حقٌّ من حقوق المؤمن على المؤمن، بل من حقوق الصديق على الصديق، ولها حدود معيّنة يجب أن لا تتعدّها.

إنَّ من الواجبات على المؤمن أن يُفعل دوره الرقابي في الحياة، أي أن يراقب زوجته وولده وجاره وصديقه وزميله ومعارفه وكلَّ من يمتُّ إليه بصلة، بل وكلَّ مسلم، بل وكلَّ إنسان، ويجب عليه أن ينصح كلَّ إنسان حسب الموقف، وحسب الظرف الموضوعي المناسب.

ولذلك اعتبرت النصيحة واحدة من أهم أسباب اجترار المودّة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «النصيحة تثمر الودّ»^(٢)، و«النصح يثمر المحبّة»^(٣).

ولكن هذا لا يعني أن تنهال النصائح من دون آداب! فربَّ ناصح أخطأ في نصحه ووصل إلى عكس ما يريد من نتيجة كان يتوخّاها! ومن أهم حدود النصيحة أن لا تصل إلى حدِّ التقرّيع! وحتى لا تصل إلى حدِّ التقرّيع عليك باتّباع التعليقات التالية:

(١) الكافي ٢: ٢٧٤ / باب الذنوب / ح ٢٤.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٣٢.

(٣) المصدر السابق.

١٧٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

١ - عليك أن تجعل نصحك لوجه الله تعالى، حتّى تؤتي الشجرة أكلها! يقول الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه»^(١).

٢ - عليك بالسريّة في النصح قدر الإمكان، فإنّه أحفظ لماء وجه الآخر، وأدوم للمحبّة، وأنقع في النتيجة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «نصحك بين الملائم تقريع»^(٢).

٣ - عليك بالنصح المستمرّ، لكن بشرط أن لا يتحوّل إلى تقريع لاذع، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كثرة التقريع توغر القلوب وتوحش الأصحاب»^(٣).

٤ - لا يجوز لك أن تتحوّل إلى رقيب سرّي على كلّ أعمال من تعرفهم، خصوصاً من هم معك في البيت، وخصوصاً الزوجة، فإنّ النقد المستمرّ وخصوصاً اللاذع منه يؤدّي إلى عواقب وخيمة.

(إنّ من الخطأ أن يُنصّب الزوج من نفسه رجل مخبرات في بيته، فيبدأ بالتفتيش عن مواقع الأخطاء، ولا بدّ أن يعتبر نفسه ملاحظ حسنات، ومشجّعاً للمرأة التي تدير البيت)^(٤).

٥ - ربّما أخطأ ولدك، فعليك بنصحه وتصحيح أخطائه، لكنّه ليس معصوماً أولاً، وليس عنده مثل خبرتك وتجربتك للحياة ثانياً، وليس بعقلك ودرايتك ثالثاً، فعليك بقبول تبرير خطئه وإن كان عذراً من دون ملح (كما يقولون)، ولا تحمله على المكابرة بكثرة تقريعه له.

(١) الكافي ٢: ١٦٤ / باب الاهتمام بأمر المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم / ح ٣.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٧.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٣٩٠.

(٤) سلسلة فنّ التعامل مع الناس للسيد هادي المدرسي ٦: ٥٧ / فنّ الصداقة مع العائلة.

الفصل الثالث: كيف أتجنب منقّرات القلوب؟..... ١٧٥

يقول أمير المؤمنين عليه السلام - في الحكم المنسوبة إليه - : «إذا عاتبت الحدث فاترك له موضعاً من ذنبه، لئلاّ يحمله الإخراج على المكابرة»^(١).

وهكذا مع كلّ الناس، فيما لو سمح الوضع بذلك التسامح، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «لا تأمن عدوك ولا تُقرّع إلى صديقك، واقبل العذر وإن كان كذباً، ودعّ الجواب عن قدرة وإن كان لك»^(٢).

٦ - لا تستعمل أسلوب الصراحة في نصحك دائماً، فلربّ عاقل يكتفي منك بالإشارة، بل ربّما تكون الإشارة أوقع في نفسه وأكثر تأثيراً فيها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «إذا لَوَّحت للعاقل فقد أوجعته عتاباً»^(٣).

٧ - لا تُكثّر من النصح والعتاب على الأخطاء، بل وازن ذلك بوزن العقل والموقف. يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «لا تكثّر العتاب فإنّه يورث الضغينة ويجرّ إلى البغضة، واستعتب من رجوت إعتابه»^(٤).
ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام : «كثرة النصح تدعو إلى التهمة»^(٥).

* * *

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٣٣٣ / ح ٨١٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٥٢٩.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١٣٦.

(٤) تحف العقول: ٨٥.

(٥) بحار الأنوار ٧٢: ٦٦ / ح ٧، عن الدرّة الباهرة: ٢٦ / ح (٥/٥٤).

ختامه مسك:

«إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا»^(١)، وأحاديث أهل بيت العصمة أرقى ما ملأ تلك الأوعية، وزادها نوراً وبصيرةً..

لقد كان الذي كان منّا جولة سريعة في آيات الكتاب الكريم وأحاديث أهل بيت العصمة، ولو تأملناها لوجدناها منهاجاً متكاملًا للحياة، حتّى ننجح بها على المستوى الفردي والجماعي، لنفوز بحبّ الله تعالى أولاً، ثمّ حبّ الناس ثانياً، لنحبّ أنفسنا أخيراً...، ولتجنّب ما يجعل قلوبنا مدبرة عن الحقّ وعن الخلق، ليعيش المرء سعادة وطمأنينة في الحياة المملوءة بألف سبب وسبب للقلق والملل والضجر.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا والمؤمنين بآيات كتابه المبين وأحاديث المعصومين من محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.
والحمد لله ربّ العالمين.



(١) نهج البلاغة: ٤٩٥ / ح ١٤٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الاحتجاج: الطبرسي / ت محمد باقر الخرسان / دار النعمان / ١٣٨٦ هـ.

الاختصاص: الشيخ المفيد / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / دار المفيد / بيروت.

اختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسي / ١٤٠٤ هـ / مؤسّسة آل البيت / مطبعته / قم.

الأخلاق في القرآن الكريم: المصباح اليزدي / ط ٢ / ١٤٣١ هـ / دار التعارف.

الأخلاق في القرآن: ناصر مكارم الشيرازي / ط ٢ / ١٤٢٦ هـ / مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام / مطبعته / قم.

أدب الضيافة: جعفر البياتي / ط ١ / ١٤١٨ هـ / مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين / قم.

الأربعون: الشهيد الأوّل / ١٤٠٧ هـ / مطبعته / مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام / قم.

إرشاد القلوب: الحسن بن محمد الديلمي / ط ٢ / ١٤١٥ هـ / مطبعته / انتشارات الشريف الرضي / قم.

الاستذكار: ابن عبد البرّ / ط ١ / ٢٠٠٠ م / دار الكتب العلمية / بيروت.

الاستيعاب: ابن عبد البرّ / ت البجاوي / ط ١ / ١٤١٢ هـ / دار الجيل / بيروت.

أسد الغابة: ابن الأثير / دار الكتاب العربي / بيروت.

١٧٨ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

- الإصابة: ابن حجر/ ط ١ / ١٤١٥هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
أعلام الدين: الحسن بن محمد الديلمي / مؤسّسة آل البيت/ قم.
إقبال الأعمال: ابن طاووس/ ت جواد القيومي/ ط ١ / ١٤١٤هـ/ مكتب
الإعلام الإسلامي.
الأمالي: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ ط ١ / ١٤١٧هـ/ مؤسّسة
البعثة.
الأمالي: الشيخ المفيد/ ت الأستاذولي، علي أكبر الغفاري/ ط ٢ / ١٤١٤هـ/
دار المفيد/ بيروت.
الأمالي: السيّد المرتضى/ ت النعساني الحلبي/ ط ١ / ١٣٢٥هـ/ مكتبة
المرعشي/ قم.
الأمالي: الشيخ الطوسي/ ت مؤسّسة البعثة/ ط ١ / ١٤١٤هـ/ دار الثقافة/
قم.
الأنوار القدسية: الشعراني/ ط السعادة/ مصر.
بحار الأنوار: العلامة المجلسي/ ط ٢ المصحّحة/ ١٤٠٣هـ/ مؤسّسة الوفاء/
بيروت.
بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفّار/ ت كوجه باغي/ ١٤٠٤هـ/ مط
الأحمدي/ منشورات الأعلمي/ طهران.
تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر/ ت عليّ شيري/ ١٤١٥هـ/ دار الفكر/
بيروت.
تحف العقول: ابن شعبة الحرّاني/ ت عليّ أكبر الغفاري/ ط ٢ / ١٤٠٤هـ/
مؤسّسة النشر الإسلامي/ قم.
تربية الطفل في الإسلام: محمد الريشهري/ ط ٢ / ١٤٢٨/ دار الحديث للطباعة
والنشر.

تعليقة على العروة الوثقى: السيد علي السيستاني.

تفسير الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي.

تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي / ت طيب الجزائري / ط ٣ / ١٤٠٤ هـ /
مؤسسة دار الكتاب / قم.

تفسير مجمع البيان: الطبرسي / ت لجنة من العلماء / ط ١ / ١٤١٥ هـ / مؤسسة
الأعلمي / بيروت.

التمحيص: محمد بن همام الإسكافي / مدرسة الإمام المهدي عليه السلام / قم.

تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام): ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري / ط ٢ /
١٣٦٨ ش / مط حيدري / دار الكتب الإسلامية / طهران.

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي / ت حسن الخرسان / ط ٣ / ١٣٦٤ ش / مط
خورشيد / دار الكتب الإسلامية / طهران.

تهذيب الكمال: المزي / ت بشار عواد معروف / ط ٤ / ١٤٠٦ هـ / مؤسسة
الرسالة / بيروت.

ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق / ت محمد مهدي الخرسان / ط ٢ / ١٣٦٨ ش /
مط أمير / منشورات الشريف الرضي / قم.

جامع أحاديث الشيعة: البروجردي / ط ١٣٩٩ هـ / مط العلمية / قم.

الجامع الصغير: السيوطي / ط ١ / ١٤٠١ هـ / دار الفكر / بيروت.

الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي / ط ١ كاملة محققة / ١٤٠٩ هـ /
مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / قم.

الخصال: الشيخ الصدوق / ت علي أكبر الغفاري / ١٤٠٣ هـ / جماعة
المدرّسين / قم.

الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون): محمد خليفة التونسي / ط ٤ /
دار الكتاب العربي / بيروت.

١٨٠ كيف تُقِيلُ القلوب، ولماذا تُدبِر؟

الدَّرَّةُ البَاهِرَةُ: الشهيد الأوَّل / ط ١ / ١٣٧٩ ش / انتشارات زائر.
دعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربي / ت آصف فيضي / ١٣٨٣ هـ / دار
المعارف / القاهرة.

الدعوات: قطب الدين الراوندي / ط ١ / ١٤٠٧ هـ / مط أمير / مؤسَّسة الإمام
المهدي عليه السلام / قم.

ديوان قيس بن الملوح: قيس بن الملوح / ط ١ / ١٩٩٩ م / دار الكتب العلمية /
بيروت.

الذنوب الكبيرة: الشهيد دستغيب / ط ١ / ١٤٢١ هـ / دار البلاغة للطباعة
والنشر والتوزيع.

روضة الواعظين: الفتال النيسابوري / ت محمَّد مهدي الخرسان / منشورات
الشريف الرضي / قم.

رياض السالكين: المدني الشيرازي / ط ٤ / ١٤١٥ هـ / مؤسَّسة النشر
الإسلامي.

زهر الآداب: القيرواني / ط ٤ / ١٩٧٢ م / دار الجليل / بيروت.
سلسلة فنِّ التعامل مع الناس: السيّد هادي المدرّسي / ط ٧ / ١٤٣٠ هـ / دار
الأمير للطباعة والنشر / بيروت.

سنن ابن ماجة: ابن ماجة القزويني / ت محمَّد فؤاد عبد الباقي / دار الفكر /
بيروت.

سنن أبي داود: ابن الأشعث السجستاني / ت محمَّد اللحّام / ط ١ / ١٤١٠ هـ /
دار الفكر / بيروت.

السنن الكبرى: البيهقي / دار الفكر / بيروت.

سير أعلام النبلاء: الذهبي / ت حسين الأسد / ط ٩ / ١٤١٣ هـ.

المصادر والمراجع..... ١٨١

شرح إحقاق الحقّ: السيّد المرعشي / ت شهاب الدين المرعشي / مكتبة المرعشي / قم.

شرح أصول الكافي: المازندراني / ت الشعراني / ط ١ / ١٤٢١هـ / دار إحياء التراث العربي / بيروت.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد / ت محمد أبو الفضل إبراهيم / ط ١ / ١٣٧٨هـ / دار إحياء الكتب العربية / بيروت.

شعب الإيمان: أبو بكر البيهقي / ط ١ / ١٤٢٣هـ / مكتبة الرشد.

صحيح ابن حبان: ابن حبان / ت الأرئؤوط / ط ٢ / ١٤١٤هـ / مؤسّسة الرسالة.

صحيح مسلم: مسلم النيسابوري / دار الفكر / بيروت.

الصحيفة السجّادية: أبطحي / ت محمد باقر الأبطحي / ط ١ / ١٤١١هـ / مط نمونة / مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام، مؤسّسة الأنصاريان / قم.

عدّة الداعي: ابن فهد الحلّي / ت أحمد الموحّدي القميّ / مكتبة وجداني / قم.

علل الشرائع: الشيخ الصدوق / ت محمد صادق بحر العلوم / ١٣٨٥هـ / منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها / النجف الأشرف.

عوالي اللثالي: ابن أبي جمهور الأحسائي / ت مجتبيّ العراقي / ط ١ / ١٤٠٣هـ / مط سيّد الشهداء / قم.

عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق / ت حسين الأعلمي / ١٤٠٤هـ / مؤسّسة الأعلمي / بيروت.

عيون الحُكم والمواعظ: عليّ الليثي الواسطي / ت حسين البيرجندي / ط ١ / دار الحديث.

الفتاوى الميسّرة: السيّد عليّ السيستاني.

١٨٢ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟

فلاح السائل: ابن طاووس.

في رحاب الله: السيّد حسين نجيب محمّد / ط ١ / ١٤٢٩هـ / دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

قرب الإسناد: الحميري القمّي / ط ١ / ١٤١٣هـ / مط مهر / مؤسّسة آل البيت / قم.

قضاء حقوق المؤمنين: الصوري / ت حامد الخفّاف / مؤسّسة آل البيت / قم.
قوّة التحكّم بالذات: إبراهيم الفقي / طباعة ايذا صادق / ٢٠٠٠م / منار للنشر والتوزيع / دمشق.

الكافي: الشيخ الكليني / ت عليّ أكبر الغفاري / ط ٥ / ١٣٦٣ش / مط حيدري / دار الكتب الإسلاميّة / طهران.

كتاب الزهد: حسين بن سعيد الكوفي / ١٣٩٩هـ / مط العلمية / قم.
كتاب المؤمن: الحسين بن سعيد الكوفي / ط ١ / ١٤٠٤هـ / مدرسة الإمام المهدي عجليلاه / قم.

كشف الخفاء: العجلوني / ط ٣ / ١٤٠٨هـ / دار الكتب العلمية / بيروت.
كشف الغمّة: ابن أبي الفتح الإربلي / ط ٢ / ١٤٠٥هـ / دار الأضواء / بيروت.
كفاية الأثر: الخزّاز القمّي / ت عبد اللطيف الكوهكمري الخوئي / ١٤٠١هـ / مط الحّيّام / انتشارات بيدار.

كنز العمّال: المتّقّي الهندي / ت بكري حياي / ١٤٠٩هـ / مؤسّسة الرسالة / بيروت.

كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي / ط ٢ / ١٣٦٩ش / مط غددير / مكتبة المصطفوي / قم.

مثير الأحزان: ابن نما الحلّي / ١٣٦٩هـ / المطبعة الحيدرية / النجف الأشرف.

المصادر والمراجع..... ١٨٣

- مجمع الزوائد: الهيتمي / ١٤٠٨هـ / دار الكتب العلمية / بيروت.
- محاسبة النفس: الكفعمي / ت فارس حسون / ط ١ / ١٤١٣هـ / مط نمونة / مؤسّسة قائم آل محمّد / قم.
- المحاسن: البرقي / ت جلال الدين الحسيني المحدث / ١٣٧٠هـ / دار الكتب الإسلامية / طهران.
- مستدرك الوسائل: الميرزا النوري / ط ١ المحقّقة / ١٤٠٨هـ / مؤسّسة آل البيت / بيروت.
- مستدرك سفينة البحار: عليّ النمازي / ت حسن بن عليّ النمازي / ١٤١٨هـ / مؤسّسة النشر الإسلامي / قم.
- المستدرك: الحاكم النيسابوري / إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
- مستطرفات السرائر: ابن إدريس الحلّي / ط ٢ / ١٤١١هـ / مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين / قم.
- مسند أحمد: أحمد بن حنبل / دار الصادر / بيروت.
- مشكاة الأنوار: عليّ الطبرسي / ت مهدي هوشمند / ط ١ / ١٤١٨هـ / دار الحديث.
- مصباح الشريعة: المنسوب للإمام الصادق عليه السلام / ط ١ / ١٤٠٠هـ / مؤسّسة الأعلمي / بيروت.
- مصباح المتهجّد: الشيخ الطوسي / ط ١ / ١٤١١هـ / مؤسّسة فقه الشيعة / بيروت.
- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق / ت عليّ أكبر الغفاري / ١٣٧٩هـ / مؤسّسة النشر الإسلامي / قم.
- المعجم الأوسط: الطبراني / ١٤١٥هـ / دار الحرمين.

- ١٨٤ كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبر؟
- المعجم الكبير: الطبراني / ت حمدي عبد المجيد السلفي / ط ٢ مزيدة ومنقحة /
دار إحياء التراث العربي.
- مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي / ط ٦ / ١٣٩٢ هـ / منشورات الشريف
الرضي / قم.
- المهوف على قتلى الطفوف: ابن طاووس / ط ١ / ١٤١٧ هـ / مط مهر / أنوار
الهدى / قم.
- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق / ت علي أكبر الغفاري / ط ٢ / مؤسّسة
النشر الإسلامي / قم.
- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب / ت لجنة من أساتذة النجف /
١٣٧٦ هـ / المكتبة الحيدرية / النجف.
- منية المرید: الشهيد الثاني / ت رضا المختاري / ط ١ / ١٤٠٩ هـ / مكتب
الإعلام الإسلامي.
- میزان الحكمة: محمد الريشهري / ط ١ / دار الحديث.
- نزهة الناظر: الحلواني / ت مدرسة الإمام المهدي عليه السلام / ط ١ / ١٤٠٨ هـ /
مدرسة الإمام المهدي عليه السلام / قم.
- النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير / ت طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد
الطناحي / ط ٤ / ١٣٦٤ ش / مؤسّسة إسماعيليان / قم.
- نهج البلاغة: الشريف الرضي / ضبط نصّه الدكتور صبحي صالح / ط ١ /
١٣٨٧ هـ / بيروت.
- وسائل الشيعة: الحرّ العاملي / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / مط مهر / مؤسّسة آل البيت /
قم.

* * *

فهرست الموضوعات

٣	مقدمة المعهد
٧	الإهداء
٩	مقدمة المؤلف
١٣	تمهيد: الدين والحبّ:
١٥	الفصل الأول: علامات صدق المودّة
١٧	علامات صدق المودّة والحبّ
١٧	١ - شهادة القلب
١٩	٢ - كثرة ذكره
٢٠	٣ - المواساة له في السراء والضراء
٢١	٤ - أن لا يرى من محبوبه إلا جميلاً
٢٤	٥ - أن يبذل النصيحة لمن يحبُّ
٢٦	٧ - أن يحبَّ محبوب حبيبه
٣١	الفصل الثاني: كيف تكسب قلوب الناس ومودّتهم؟
٣٤	أولاً: طرق بين العبد وربّه
٣٤	أولاً: الإقبال بالقلب على الله ﷻ
٣٥	ثانياً: الإقبال بالقلب على الله تعالى أثناء الصلاة
٣٧	ثالثاً: السجود بين الأذان والإقامة
٣٩	رابعاً: الاستعانة بالله تعالى

١٨٦	كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟
٤٠	ثانياً: طرق وأعمال بين الإنسان والإنسان الآخر
٤٠	النوع الأوّل: طرق مجّانية
٤٠	الطريق الأوّل: الابتسامة
٤١	الطريق الثاني: البدء بالسلام
٤٢	الطريق الثالث: المصافحة
٤٤	الطريق الرابع: المعانقة
٤٥	الطريق الخامس: الزيارة
٤٨	الطريق السادس: اللين واللباقة في الأقوال والأفعال
٥٠	الطريق السابع: الزهد في ما في أيدي الناس
٥١	الطريق الثامن: العمل بالحقّ
٥٤	الطريق التاسع: دعوة الناس بأحبّ الأسماء إليهم
٥٨	الطريق العاشر: تعامل مع الفئات العمرية بذكاء
٦٥	النوع الثاني: طرق تحتاج إلى بذل ولو قليلاً
٦٥	الطريق الأوّل: الإحسان إلى الناس
٦٦	الطريق الثاني: صلة الرحم
٦٨	الطريق الثالث: الهدية
٧٠	الطريق الرابع: السخاء
٧٠	النقطة الأولى
٧١	النقطة الثانية
٧١	النقطة الثالثة
٧١	النقطة الرابعة
٧٤	الطريق الخامس: قضاء حوائج الإخوان

١٨٧	فهرست الموضوعات
٧٥	أدبيات قضاء الحاجة
٧٩	الفصل الثالث: كيف أُنَجَّب منفرات القلوب؟
٨٠	سُنَّة التغيير في الحياة
٨٢	إقبال وإدبار القلوب
٨٢	الجنب الأول: إقبال وإدبار القلوب مع الله تعالى
٨٥	السبب الأول: الاستخفاف بحقوق الله تعالى
٨٥	أولاً: الحقوق العبادية
٨٦	ثانياً: الحقوق المالية
٨٨	ثالثاً: النواهي
٨٩	رابعاً: تعظيم ما نُسِبَ إليه جَلَّ وعلا من موجودات
٩٢	خامساً: تعظيم أسماء الله تعالى
٩٦	السبب الثاني: الإعراض عن الله تعالى
٩٩	السبب الثالث: الدخول في مقام الكاذبين
١٠٣	السبب الرابع: ترك شكر النعم
١٠٤	أولاً: عدم الشكر اللساني
١٠٦	ثانياً: استخدام النعم في معصية الله تعالى!
١٠٦	ثالثاً: عدم أداء حقوق النعم الشرعية
١٠٧	رابعاً: إلهاء النعم عن ذكر الله تعالى
١٠٧	خامساً: عدم شكر الناس
١٠٧	السبب الخامس: ترك مجالس العلماء
١١١	المجالس المأمور بها
١١٢	مجالسة العلماء

١٨٨	كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟
١١٣	السؤال الأوّل: كيف نجالس العلماء؟
١١٤	السؤال الثاني: لماذا أعرّض الناس عن مجالسة العلماء؟
١١٩	السبب السادس: الغفلة
١٢٢	أوّلاً: الجهل
١٢٢	ثانياً: الغرور والأناية
١٢٢	ثالثاً: سكر النعمة
١٢٣	رابعاً: العافية والسلامة البدنية
١٢٣	خامساً: طول الأمل
١٢٤	أوّلاً: دوام ذكر الله تعالى
١٢٤	ثانياً: النيّة المستمرّة لفعل الخير
١٢٤	ثالثاً: الالتفات إلى تغيّر وانقضاء الأيام
١٢٤	رابعاً: المحافظة على الصلاة في أوّل وقتها
١٢٤	خامساً: كسب العبرة من التاريخ
١٣٢	السبب السابع: مؤالفة البطّالين في مجالسهم
١٣٤	السبب الثامن: عدم استيعاب شروط استماع الدعاء
١٣٨	ملاحظة
١٣٩	السبب التاسع: تعجيل العقوبة
١٤٠	لكلّ قاعدة استثناء!
١٤٠	لماذا الاستعجال بالثواب والعقاب؟
١٤٧	ما هي الذنوب التي تعجل عقوبتها؟
١٤٨	السبب العاشر: قلّة الحياء
١٥٠	الحياء والإيمان

١٨٩	فهرست الموضوعات
١٥١	مفردات من قلّة الحياء مع الله تعالى
١٥٣	كيف تكون حياً من الله تعالى؟
١٥٣	أولاً: تذكّر المراقبة الإلهية
١٥٤	ثانياً: تذكّر مراقبة الملكين
١٥٤	ثالثاً: تذكّر الموت وأنه قادم لا محالة
١٥٤	رابعاً: الزهد في الدنيا
١٥٤	خامساً: الإدارة الإيمانية لأدوات الرأس
١٥٤	سادساً: اللقمة الحلال
١٥٥	هل الحياء دائماً ممدوح؟
١٥٦	أولاً: خدمة الضيف
١٥٦	ثانياً: احترام الأب والمعلم
١٥٧	ثالثاً: المطالبة بالحق
١٥٨	رابعاً: التعلّم
١٥٨	خامساً: الاعتراف بالجهل
١٥٩	الجانب الثاني: إديار القلوب مع البشر
١٦٠	أسباب إديار قلوب البشر وتنافرها
١٦٠	السبب الأوّل: خبث السريرة
١٦٢	السبب الثاني: سوء الخُلُق
١٦٣	السبب الثالث: تتبّع العيوب
١٦٥	السبب الرابع: الكبر
١٦٨	السبب الخامس: الاستهزاء
١٧١	الاستهزاء بالنفس

١٩٠	كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟
١٧١	السبب السادس: الذنوب
١٧٣	السبب السابع: كثرة التقريع
١٧٦	ختامه مسك
١٧٧	المصادر والمراجع
١٨٥	فهرست الموضوعات

* * *